سوال کرد امام محمد تقی از یحیی ابن اکثم
فرمود مرا خبر ده از شخص که صبح بزنی نگاه کند
و نظر شی بر و حرام باشد و چون افتاب بلند شود بر و حلال
گردد و چون وقت غروب شود باز آن زن بر و حرام شود
و چون وقت خفتن در آید بر و حلال شود و وجه حرمت
و حلیه از چه راه است یحیی ابن اکثم سر بزیر انداخت
ماموں اشاره بحضرت کرد حضرت در جواب فرمود
این کنیز از شخصی بود نظر بیگانه نمود در اول روز بر و حرام
بود که نگاه کرد و چون افتاب بلند شد کنیز را از صاحبش
خرید بر و حلال شد و وقت زوال افتاب آزاد کرد و بر و حرام
شد و در وقت خفتن و وقت عصر او را بزنی خواست
بر و حلال شد و وقت غروب ظهار کرد
بر و حرام شد و در وقت خفتن کفاره
داد بر و حلال شد و در نصف شب
طلاق داد بر و حرام و در وقت صبح
رجوع کرد بر و حلال شد تمام

[illegible]

سوال معاویه از امام حسن پرسید که خدا تعالی در قران گفته
که لا رطب و لا یابس الا فی کتاب مبین چون است که ریش مرا
در ریش شما یاد نکرده اند حضرت امام علیه السلام فرمودند
که یاد کرده گفت چه آیه است حضرت امام آیه را خواندند
والبلد الطیب یخرج نباته باذن ربه والذی خبث
لا یخرج الا نکدا

حدیث
ولادت با سعادت حضرت رسول صلی الله علیه و اله و سلم
بنا بر روایتی در شب جمعه بود نزدیک طلوع صبح در هفدهم ماه ربیع
الاول و در ان وقت هفت هزار و ... سال و چهار ماه و هفت روز
از وفات آدم علیه السلام گذشته بود و بر روایتی ... هزار و ... سال
و چهار ماه و هفت روز نقل شد از کتاب حیات القلوب آخوند رحمه الله
و چهار ماه ...
۳ علی

تاریخ ولادت نورچشم ...
در دوازدهم شهر شوال المکرم در روز
جمعه در سنه ۱۲۵۲

ف. نو
م

میکروفیلم تهیه شد

۶ / ۴۱ / ۱۳۸۶

آستان قدس

کتابخانه مرکزی آستان قدس رضوی

نام کتاب انوار التنزیل، موجودی از اول کتاب تا آخر سوره کهف، کاغذ فرنگی فستقی و نخودی
مؤلف متن قاضی (ناصر الدین عبدالله شیرازی) بیضاوی محشی
شارح مترجم
تاریخ تحریر حدود سده ۱۳ ق نوع خط نستعلیق تعداد سطر ۲۴ و ۲۶
جزء کتب تفسیر زبان عربی عدد اوراق ۲۰۸
طول ۳۱ عرض ۲۰.۵ شماره عمومی ۲۳۸۶۸
وقفی کتابخانه رضوی توسط حاج ملک الحکمی
خریداری
تاریخ وقف / خریداری
ملاحظات جلد تیماجی مشکی کهنه

۳۰۹
۱۴ × ۲۲

از فال ...

وقف نمود ... حاج شيخ حسن سلطانی
بهشهری بحوزه علمیه مشهد مقدس

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا باقصر سورة من سوره مصاقع
الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وافحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان
حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل اليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته
وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا فكشف قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات
هن رموز الخطاب تأويلا وتفسيرا وابرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك
والملكوت وخبايا القدس والجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها من
نصوص الآيات والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد
فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه رأسه واطفأ نبراسه يعش ذميما ويصلى سعيرا
فيا واجب الوجود ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلوة توازي غناءه وتجازي عناءه و
على من اعانه وقرر تبيانه تقريرا وافض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم
علينا وعليهم تسليما كثيرا اما بعد فان اعظم العلوم مقدارا وارفعها شرفا ومنارا علم التفسير
الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبنى قواعد الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي
للتكلم فيه الا من برع في العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون
الادبية بانواعها ولطالما احدث نفسي بان اصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني
من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين على نكت بارعة ولطائف
رائعة استنبطتها انا ومن قبلي من افاضل المتأخرين واماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة
المعزية الى الائمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين الا ان قصور بضاعتي
يثبطني عن الاقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع
فيما اردته والاتيان بما قصدته ناويا ان اسميه بعد ان اتممته بانوار التنزيل واسرار التأويل فها انا الآن اشرع
بحسن توفيقه اقول وهو الموفق لكل خير والمعطي لكل سؤل سورة فاتحة الكتاب
وتسمى ام القرآن لانها مفتتحه ومبدأه فكانها اصله ومنشأه ولذلك تسمى اساسا او لانها

تشتمل على ما فيه

وقف نمود ... حاج شيخ حسن سلطانی
بهشهری بحوزه علمیه مشهد مقدس

تشتمل على ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من
الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل
الاشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها
عليها والصلوة لوجوب قراءتها او استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله عليه السلام هي شفاء كل داء
والسبع المثاني لانها سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية آية دون انعمت عليهم ومنهم
من عكس وتثنى في الصلوة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة لما
حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص بسم الله الرحمن الرحيم
من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة
والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة فيه بشيء فظن انها ليست من السورة عنده
وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله لنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة انه عليه
السلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة
وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ومن اجلها اختلف في انها آية برأسها ام بما بعدها والاجماع
على ان ما بين الدفتين كلام الله والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم يكتب آمين
والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ لان الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له
وذلك اولى من ان يضمر ابدأ لعدم ما يطابقه وما يدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول
هيهنا اوقع كما في قوله بسم الله مجراها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل في التعظيم
واوفق للوجود فان اسمه تعالى مقدم على القراءة كيف لا وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر
باسمه لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله اقرأ
وهذا وما بعده مقول على السنة العباد ليعلموا انه كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمته ويسئل من فضله وانما
كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة
داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها
لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وادخلت عليها همزة الوصل لان من دابهم ان يبدؤا
بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على اسماء واسامي وسمي وسميت ومجيء
سمى كهدى لغة فيه قال والله اسماك سما مباركا آثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه

من السمو لأنه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة
الوصل ليقل اعلاله ورد بأن الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال باسم الذي
في كل سورة سمه والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لأنه يتألف من الاصوات مقطعة غير قارة ويختلف
باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لم
يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى تبارك اسم ربك المراد به اللفظ لأنه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب
تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر الى الحول ثم اسم السلام
عليكما وان اريد به الصفة كما هو رأي ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى
والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لأن التبرك والاستعانة بذكر اسمه
والفرق بين اليمين والتيمن ولم يكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها
والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه مختص بالمعبود بالحق
والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بحق واشتقاقه من اله الاهة والوهة والوهية بمعنى عبد
ومنه تأله واستأله وقيل من اله اذا تحير لأن العقول تتحير في معرفته او من ألهت الى فلان اي سكنت اليه
لأن القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه وآلهه
غيره اجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا ولع بأمه اذ العباد مولعون
بالتضرع اليه في الشدائد او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال
الكسرة عليها استثقال الضم في وجوه فقيل اله كاعاء واشاح ويرده الجمع على آلهة دون اولهة وقيل
اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لأنه تعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع
على كل شيء وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر كحلفة من ابي رباح يسمعها لاهه الكبار وقيل علم لذاته
المخصوصة لأنه يوصف ولا يوصف به ولأنه لا بد له من اسم يجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه
سواه ولأنه لو كان وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والحق

والحق انه

والحق انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق
اجري مجراه في اجراء الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لأن ذاته من حيث هو
بلا اعتبار امر آخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولأنه لو دل على مجرد ذاته المخصوص
لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض معنى صحيحا ولأن معنى الاشتقاق هو كون
احد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها
بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة
وقيل مطلقا وحذف الفه لحن يفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر الا لا بارك الله
في سهيل اذا ما بارك الله في الرجال الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من الغضب والعليم
من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله
تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لأن
زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطّع وكبار وكبّار وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار
الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لأنه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لأنه يختص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن
الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لأن النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما
قدم والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم الرحمة الدنيا ولأنه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره
لأن معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لأن من عداه فهو مستعيض بلطفه
وانعامه يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او مزيد رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة
في ذلك لأن ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها
والقوى التي بها الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره او لأن الرحمن لما دل على جلائل النعم
واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة على رؤس الآي
والاظهر انه غير مصروف وان حظر اختصاصه بالله ان يكون له مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا
له بما هو الغالب في بابه وانما خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لأن يستعان
به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها

من الغضب

رر بقلبه   رر بعلمه

فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بالحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره

رر تعظيم

الحمد لله الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر في مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا فهو اعم منهما من وجه واخص من آخر ولما كان من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو او للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شأنه وقرئ وقرأ الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة رب العالمين الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة الى

المبقي حال

صعب

يعلم

في الارض آيات

ان شاء الله

الى المبقي حال بقائها الرحمن الرحيم كرره للتعليل على ما سنذكره مالك يوم الدين قرأه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرأ الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله تعالى لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدأ محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب الجنة او له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار ليكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه موجدا للعالمين ربا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستأهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا على ما بعده والوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه متفضل بذلك مما لا يقبل الشركة فيه ولتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين **اياك نعبد واياك نستعين** ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات تعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص وللترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود فكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بنى اول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتأمل في اسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شأنه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان

ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون
السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب الى آخر تطرية وتنشيطا للسامع
للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين
بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد ونام
ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الارمد وذلك من نبأ جاءني وخبرته عن ابي
الاسود واياك ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب و
والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارأيتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج
بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياالشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي
الضمائر وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل
الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل
ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل الا في
الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او غير ضرورية والضرورية ما لا يتأتى الفعل
بدونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة
ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي
او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في
المهمات كلها او في اداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري
صلوة الجماعة او له ولسائر الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف عباداتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها
تقبل ببركتها وتجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على
الحصر ولذلك قال ابن عباس معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه
على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة
صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف
انما الحق وصوله

وانما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث
انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه موسى
حيث قال ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة
ليوافق رؤس الآي ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة
الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه وتوفيق بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل
على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك
مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم
ينضم ما بعدها **اهدنا الصراط المستقيم** بيان للمعونة المطلوبة فكأنه قال كيف اعينكم فقالوا
اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم
الى صراط الجحيم على التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى
باللام او الى فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية الله تتنوع انواعا لا يحصيها عد
لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوى العقلية
والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد
واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين وقال فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية
بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والرابع
ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي والالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص
بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب
المرتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا
وتميط غواشي ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى
ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكأنه يسرط
السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الاطباق

وقد يشم الصاد صوت الزاي ليكون أقرب إلى المبدل منه وقرأ ابن كثير ورويس عن يعقوب بالأصل وحمزة بالا
بالإشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الإمام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في
التذكير والتأنيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الإسلام **صراط الذين
أنعمت عليهم** بدل من الأول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث إنه المقصود بالنسبة وفائدته
التوكيد والتنصيص على أن طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وأبلغه لأنه جعل كا
كالتفسير والبيان فكأنه من البين الذي لا خفاء فيه أن الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين و
وقيل الذين أنعمت عليهم الأنبياء وقيل أصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ
وقرئ صراط من أنعمت عليهم والإنعام إيصال النعمة وهي في الأصل الحالة التي يستلذها الإنسان فأطلقت
فأطلقت لما يستلذ من النعمة وهي اللين ونعم الله وإن كانت لا تحصى كما قال وإن تعدوا نعمة الله لا
تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي وأخروي والأول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني
كنفخ الروح فيه وإشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني
كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة من الصحة وكمال الأعضاء والكسبي
تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالأخلاق والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات
المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني أن يغفر ما فرط منه ويرضى عنه و
ويبوّاه في أعلى عليين مع الملائكة المقربين أبد الآبدين والمراد من النعم هو القسم الأخير وما يكون
وصلة إلى نيله من القسم الآخر فإن ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر **غير المغضوب
عليهم ولا الضالين** بدل من الذين على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب و
والضلال أو صفة له مبينة أو مقيدة على معنى أن المنعم عليهم هم الذين جمعوا بين النعمة المطلقة
وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من الغضب والضلال وذلك إنما يصح بأحد التأويلين إجراء الموصول
مجرى النكرة إذا لم يقصد به معهود كالمحلى في قوله ولقد أمر على اللئيم يسبني وقولهم إني لأمر على الرجل
مثلك فيكرمني أو جعل غير معرفة بالإضافة لأنه أضيف إلى ما له ضد واحد وهو المنعم عليه فيتعين

تعين الحركة

تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصب على الحال من الضمير المجرور والعامل أنعمت أو بإضمار أعني أو بالاستثناء
إن فسر النعم بما يعم القبيلتين والغضب ثوران النفس لإرادة الانتقام فإذا أسند إلى الله تعالى أريد المنتهى والغاية
على ما مر وعليهم في محل الرفع لأنه نائب مناب الفاعل بخلاف الأول ولا مزيدة لتأكيد ما في غير المغضوب عليهم ولا
من معنى النفي فكأنه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز أنا زيدا غير ضارب كما جاز أنا زيدا لا ضارب
وإن امتنع أنا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا أو خطأ وله عرض
عريض والتفاوت ما بين أدناه وأقصاه كثير وقيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله
وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه أن يقال المغضوب عليهم
العصاة والضالين الجاهلون بالله لأن المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به فكان
من المقابل له من اختل إحدى قوتيه العاقلة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه
والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق إلا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب
من التقاء الساكنين آمين اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس سألت رسول الله عن معناه فقال
افعل مبني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وجاء مد ألفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال آمين
فزاد الله ما بيننا بعدا وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله صلعم علمني جبريل آمين عند فراغي
من قراءة الفاتحة وقال إنه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي عليه السلام آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء
عبده يقوله الإمام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر أنه كان إذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها
صوته وعن أبي حنيفة أنه لا يقوله والمشهور عنه أنه يخفيه لما رواه عبد الله بن مغفل وأنس والمأموم يؤمّن
معه لقوله صلى الله إذا قال الإمام ولا الضالين فقولوا آمين فإن الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين
الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن أبي هريرة أن النبي صلعم قال لأبي ألا أخبرك بسورة لم تنزل في التوراة والا
والإنجيل والقرآن مثلها قال بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته
وعن ابن عباس قال بينا عند رسول الله صلعم إذ أتاه ملك فقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي
قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما إلا أعطيته وعن حذيفة بن اليمان عن النبي صلعم

عليه قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه
الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم
الم وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار
ما يختص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو علي وما روى ابن مسعود
انه عليه السلام قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم
حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل
المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت لها
ليكون تأديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل
موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذ لم تناسب مبني الاصل
ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين ساكنين ولم تعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها
لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي تركبت منها افتتحت السورة بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى
بالقرآن وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما
عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع
مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خطه ودرس فاما من الامي الذي لم
يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه
الاديب الاريب الفائق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد الالف
فيها حرفا برأسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عدت فيها الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر
من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين و
الكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت
طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التي هي
الصاد والضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند
خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي
التي يتصعد الصوت

التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها
الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها اجد
طويت منها الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال
والصاد والزاي في صراط وزراط والفاء في اجدف والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو والباء في بامك
في باسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها الستة المذكورة واللام والصاد والعين مما يدغم
في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء
والغين والضاد والفاء والظاء والشين والزاي والفاء والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهي الثلاثة عشر الباقية
نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما في الادغام من الخفة والفصاحة
ومن الاربعة التي لا يدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والراء والسين والفاء نصفها ولما كانت
الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحاء والعين
والهمزة والهاء كثيرة الوقوع في كلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ذكر من
الزوائد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت
الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية
ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر
ثلث المفردات في ثلث سور لانها توجد في الاقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف واربع الثنائيات لانها تكون
في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعها في كل واحد من
الاقسام الثلاثة على ثلاثة اوجه ففي الاسماء من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على
لغة من جر بها وثلاث الثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلاثة في ثلث عشرة سورة تنبيها على اصول الابنية
المستعملة ثلاثة عشر منها للاسماء وثلاثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل واحد
منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تورد بجملتها في اول القرآن
لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى ان المتحدى به
مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها
اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل
عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن
باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي به وان كان مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها
اولا

على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد بها ما وضعت له في لغة العرب فظاهر انه ليس كذلك او غيره
وهو باطل لان القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان
يكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف آخر كما قال قطرب او اشارة الى كلمات هي منها
اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت قاف كما روي عن ابن عباس انه قال الالف
آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم
ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي القرآن
منزل من الله بلسان جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم او الى مدد اقوام وآجال بحساب الجمل كما قال ابو العالية متمسكا
بما روي انه صلى الله عليه وسلم لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه فقالوا كيف ندخل في دين مدته احدى
وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا
فلا ندري بايها ناخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك و
هذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب يلحقها بالمعربات كالمشكوة
كالمشكوة والسجيل والقسطاس او دالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط
اسماء الله ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية
بثلثة اسماء فصاعدا مستنكر عندهم ويودي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تاخر الجزء عن
الكل من حيث ان الاسم يتاخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول ان هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه و
والدلالة على الانقطاع والاستيناف يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك
ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم يستعمل للاختصار عن كلمات معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ واما
قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة
حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها اذ لا مخصص لفظا
ومعنى ولا لحساب الجمل فيلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه تبسم تعجبا من جهلهم
وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلثة
بثلثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسماء واحدا على طريقة بعلبك فاما اذا نثرت

نثر اسماء

نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبطائفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو
المجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول
اقرب الى التحقيق واوفق للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد
فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القرآن ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل
انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا عليه السلام كان يقول يا كهيعص يا حمعسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى
الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي آخرها جمع بينها ايماء الى ان
العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه وآخره ذكر الله تعالى وقيل سر استأثره الله تعالى بعلمه وقد روي عن
الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى ورسوله ورموز لم يقصد
بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القرآن او السورة كان لها حظ
من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بفعل القسم على طريقة الله لافعلن بالنصب او غيره كاذكر او الجر
على اضمار حرف القسم ويتأتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانه كهابيل و
والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود عليك مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرت
بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منصوبا
او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن ويكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات
او اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف
التمام اذا قدرت بحيث لا يحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها آية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها
والمص وكهيعص وطه وطسم ويس وحم آية وحمعسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا توقيف لا مجال
للقياس فيه **ذلك الكتاب** اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القرآن فانه
لما تكلم به وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا اشير اليه بما يشار به الى البعيد وتذكيره متى اريد بالم السورة
لتذكير الكتاب فانه خبره او صفته الذي هو هو او الى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بقوله
تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ونحوه او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة او فعال بني للمفعول
كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة لا
لا ريب فيه معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا

وحيا بالغ حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الآية
فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها
غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيها مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه
لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الا
الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك
لانه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق
طمأنينة ومنه ريب الزمان لنوائبه هدى للمتقين يهديهم الى الحق والهداية في الاصل مصدر
كالتقى والسرى وهو الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة في قول الله تعالى
لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال المهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين
لانهم هم المهتدون به والمنتفعون بنصبه وان كانت الدلالة عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذه
وبهذا الاعتبار قال هدى للناس او لانه لا ينتفع بالتأمل فيه الا من استعمل العقل واستعمله في
تدبر الآيات والنظر في المعجزات ومعرفة النبوات فانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا
يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة واليه اشار بقوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عما
بيان تعين المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم
اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن
الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل
او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع وهو المعني بقوله تعالى ولو ان اهل
القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو
التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته وقد فسر المتقون ههنا على اوجه الثلثة واعلم

واعلم

واعلم ان الآية يحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدأ على انه اسم القرآن او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك
خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في
في تأليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم
خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته فيه ذلك لا ريب في المشهور مبني
لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضها ولازمة للا
للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول
لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب
على الحال او الخبر المحذوف كما في لا ضير ولذلك وقف على لا ريب على ان فيه خبره هدى وقدم عليه لتنكيره
والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي
يستأهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر
اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما تركبون
ما تركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ثم سجل على
كماله بنفي الريب عنه لانه لا كمال اعلى مما للحق واليقين ثم وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدأ رابعة يؤكد كونه حقا
لا يحوم الشك حوله بانه هدى للمتقين او يستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه
اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد
الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة
هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة
التعريف وفي الثالثة تأخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده
منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى للمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشأنه
الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك
ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الطاعة
وترك المعصية لاشتمالها على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات

للاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لساير الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى
قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عم الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مسوق للمدح
وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لفضلها على ساير ما يدخل تحت الاسم التقوى
او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون
الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة التصديق مأخوذ من الامن كان المصدق امن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته
وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق صار ذا امن ومنه ما آمنت ان اجد صحابة
وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلعم كالتوحيد والنبوة
والبعث والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند الجمهور المحدثين و
المعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فمنافق ومن اخل بالاقرار فكافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا
وكافر عند الخوارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه تعالى
اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف
عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين
آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير
فانه اقرب الى الاصل ومتعين بالارادة في الآية اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد
التصديق بالقلب هل هو كاف لانه المقصود او لا بد من انضمام الاقرار به للتمكن به ولعل الحق هو الثاني لانه
تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار والغيب مصدر وصف به
للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض والخمصة التي تلي الكلية غيبا
او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا تقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل
عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم
الآخر واحواله وهو المراد به في الآية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير
ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا

لقوا الذين

اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به لما روي ان ابن مسعود قال
والذي لا اله غيره ما آمن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم
فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للآلة **ويقيمون الصلوة** اي يعدلون اركانها
ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت
واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ عليها
كانت كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادائها من
غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد
او يؤدونها عبر عن ادائها بالاقامة لاشتمالها كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول
اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة
من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه على الله المصلون الذين هم عن
صلوتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين
والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها
لاشتمالها على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار اللفظ
في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها
في تخشعه بالراكع والساجد **ومما رزقناهم ينفقون** الرزق في اللغة الحظ قال الله تعالى
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به
والمعتزلة لما استحالوا من الله ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق
لا يتناول الحرام الا ترى انه تعالى اسند الرزق الى نفسه هاهنا ايذانا بانهم ينفقون الحلال المطلق فان
انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله قوله تعالى الطلق فانفق
بقوله قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم
والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق
الرزق له بقوله عم في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان
ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت ما فاؤه

في الفاء والعين دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا الانفاق بما رزقهم الله صرف المال في سبيل الخيرات من الفرض والنفل ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به وللمحافظة على رؤس الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي آتاهم الله منه النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون الذين يؤمنون بما انزل اليك من قبلك هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم ان المراد باولئك الذين امنوا عن شرك وانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس او على المتقين وكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين امنوا من اهل الكتاب ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث فالصابح فالغانم فالآيب على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تباين السبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبرئيل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشيء من الاعلى الى الاسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول ويلقيه والمراد بما انزل اليك القرآن باسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا ح وبما انزل من قبلك التورية والانجيل وغيرهما من ساير الكتب السابقة

والايمان

والايمان بها جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج وتشويش المعاش وبالآخرة هم يوقنون اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب فان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه نظرا واستدلالا ولذلك لا يوصف به العلم القديم والعلوم الضرورية والآخرة تانيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يوقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدان الى موسى وجعدة اذا اضاءهما الوقود اولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له وكانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون الى آخر الآيات والا فاستئناف لا محل لها وكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة هاهنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستانف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه او قد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل وغوى واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي فلا و ولا الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم واكد تعظيمه بان الله تعالى مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة واولئك هم المفلحون كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلا منهما كاف في

في تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين هنا بخلاف قوله تعالى اولئك كالانعام
بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية
مقررة للاولى فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه
او مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كأنه الذي انفتحت له وجوه
الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلي يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة
على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة والاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة
المفلحين وخصوصياتهم تنبيه تأمل كيف نبّه سبحانه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى
بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم
والترغيب في اقتفاء اثرهم وقد تمسك به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب
ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم
الفلاح راسا ان الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده وخلاصة اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى
والفلاح عقبهم اضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولم
يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض
فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال وان
من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه
والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا
بانه فرع في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية
للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد
لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك
يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة ويذكر في معرض الشك مثل ويسألونك عن ذي القرنين
قل ساتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين قال
المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه وان عبد الله لقائم

جواب منكر

جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار
اليهود او للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر لغة ستر النعمة
واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع انكار ما علم
بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق
الرسول لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانها كفر في انفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على
حدوث الكلام كما في العلم سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم خبر ان وسواء اسم بمعنى الا
الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما
بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما
بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو
اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه
كقوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وانما
عدل هاهنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء
وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص
في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار التخويف اريد به التخويف عن عقاب الله وانما اقتصر عليه
دون البشارة لانه اوقع في القلب واشد تأثيرا في النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا
لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ ءانذرتهم بتخفيف الهمزة بين بين وتخفيف الثانية بين
بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحرك لا يقلب ولانه يؤدي الى جمع الساكنين على غير حده وبتوسط الالف
بينهما محققتين وبتوسطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن
قبلها لا يؤمنون جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر
ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه وتعالى
اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان ولو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع
الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي غرضا

بفعله سيما الاستثناء لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء وعدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله
~~سواء عليهم ولم يقل سواء عليك~~ كما قال هو او العبد باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام
الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم
ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الآية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم
فهي من المعجزات ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان
ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا
الى انه آخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة
ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي
واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم
بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم
لا تجتلي الآيات المنصوبة في الانفس والآفاق كما تجتليها اعين المستبصرين فتصير كانها غطي عليها وحيل
بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة باشياء ضرب
حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه وبالاقساء
في قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته
بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك
بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم و
واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التأويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم
حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم
البهائم التي خلقها الله خالية عن الفطن او قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا
هلك وطارت به العنقاء اذا اطالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر
لكن لما كان صدوره باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم
لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم

الضلال والبغي

الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر
ومن بيننا وبينكم حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا الآية السادس ان ذلك في الآخرة
وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما و
وصما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا
المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله
تعالى وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص
فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة
المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع
للامن من اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم و
والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد
بهما في الآية العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة
كما قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية
لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على
الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او حذف الجار وايصال
الختم اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم وبالفتح والنصب وهما لغتان
فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة ولهم عذاب عظيم
وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى يقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه الماء
العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع واطلق على كل الم فادح وان لم
يكن نكالا اي عقابا يردع الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب
كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف
التوصيف به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الآية ان على ابصارهم غشاوة ليس مما
يتعارفه الناس وهو التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله ومن الناس
من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر لما افتتح سبحانه وتعالى بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين

الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا
لفتة رأسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا
للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله تعالى لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في
بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان
وانس واناسي فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله ان
المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا شاذ وهو اسم جمع كرجال اذ لم يثبت فعال في ابنية الجمع مأخوذ من الانس
لانهم يستأنسون بامثالهم او آنس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا
لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد فكأنه قال ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود
هم الذين كفروا ومن موصولة ~~اذ لا عهد وكأنه~~ مراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على
النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لا يأبى دخولهم تحت هذا الجنس
الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات يختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيما للقسم الثاني واختصاص
الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم احتازوا
الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف
فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر ايمانا لاعتقادهم التشبيه
واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات وغيرها ويرون المؤمنين
انهم آمنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على الوجه الخداع
والنفاق وعقيدتهم هي هي لم يكن ايمانا فكيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي التكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على
الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه
باللفظ وللرأي والمذهب مجازا والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل اهل الجنة
الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة وما هم بمؤمنين انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته
وكان اصله وما آمنوا ليطابق قولهم في التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا ومبالغة في التكذيب
التكذيب لان اخراج

في التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي
بالباء واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان تقيد بما قيدوا به لانه جوابه والآية
تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين
فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا ينهض حجة عليهم
يخادعون الله والذين آمنوا الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتزله عما هو
بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج
من باب آخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة تكون
بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد
اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول عليه السلام معاملة الله تعالى من حيث انه خليفته كما
قال عز من قائل من يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما ان صورة
صنيعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم باجراء احكام المسلمين عليهم وهم
عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول عليه السلام والمؤمنين امر الله
في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين ويحتمل ان يراد
بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول او استئناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعل للمبالغة
فان الزنة لما كانت للمغالبة والفعل متى غولب فيه فاعله كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار
استصحب ويعضده قراءة من قرأ يخدعون وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم
من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين بالاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم
ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد وما يخدعون الا انفسهم قراءة نافع وابن
كثير وابو عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم لما
غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية

وقراء الباقون وما يخدعون لان المخادعة لا يتصور الا بين اثنين وقرا يخدعون من خدع ويخدعون بمعنى
يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء
وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به قائم وللقلب لانه محل الروح او متعلقه والدم لان قوامها به
وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا يامره ويشير اليه
والمراد بالانفس هنا ذواتهم ويحتمل على ارواحهم وآرائهم وما يشعرون لا يحسون بذلك لما
لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على مأوف الحواس
والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار في قلوبهم مرض فزادهم الله
مرضا المرض حقيقة فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في
الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة
من نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحيوة الحقيقية الابدية والآية تحتملهما فان قلوبهم كانت
متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول واستعلاء شانه
يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مأوفة
بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع او بازدياد التكليف
والتكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب
من فعله واسنادها الى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما داخل
قلوبهم من الجبن والحقد والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب
في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد ولهم عذاب اليم اي مؤلم
يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة
قولهم جد جده بما كانوا يكذبون قراها عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او ببدله جزاء لهم وهو
قولهم آمنا وقرا الباقون يكذبون من كذب لانهم كانوا يكذبون الرسول بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم
او كذب الذي هو للمبالغة او التكثير مثل بين الشيء وموتت الابل او كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف
لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر من الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه
علل به

علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وما روي ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلث كذبات فالمراد
التعريض ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف على
يكذبون او يقول وما روي عن سلمان رضي الله عنه ان اهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله اراد به ان اهله
ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد حاله حالهم لان الآية متصلة لما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد
خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان فسادهم في الارض هيج
الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى
الفساد ما في الارض والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع
والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى او الرسول او بعض المؤمنين
وقرا الكسائي وهشام قيل باشمام الضم الاول قالوا انما نحن مصلحون جواب لاذا ورد للناصح على
سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب
الفساد لان انما يفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا
الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا الا انهم هم
المفسدون ولكن لا يشعرون رد لما ادعوه ابلغ رد للاستيناف وتصديره بحرفي التاكيد الا المنبهة
على تحقيق ما بعدها فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك
بقادر ولذلك لا يكاد يقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها اما التي هي من طلائع القسم
وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين
والاستدراك بلا يشعرون واذا قيل لهم آمنوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع
امرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا
كما آمن الناس في حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس
للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس يستعمل لمسماه مطلقا

جواب عن سؤال مقدر وهو انه لو كان اللام للجنس
لكان المعنى كما آمن جنس الناس والناس عام يتناول
المؤمن والكافر فاجاب بعدم المراد به

يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب
قوله تعالى صم بكم ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله اذ الناس ناس والزمان زمان واللام للعهد والمراد به الرسول ع م
ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايماناً مقروناً [illegible]
بالاخلاص متمحضاً عن شوائب النفاق مماثلاً لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار
باللسان ايمان والا لم يفد التقييد قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى
الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم او لتحقير شأنهم
فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان
فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة رأي يقتضيهما نقصان العقل والحلم
يقابله الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على
خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الآيات
والنذر وانما فصلت الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقاً لذكر السفه ولان الوقوف على
امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانه
يدرك بادنى فطن وتأمل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان
لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس
بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء
عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل
نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل
نفسه وماله لرسول الله ثم بيد علي عليه السلام فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم
ما خلا رسول الله فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه
ألقيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى واذا خلوا الى شياطينهم من خلوت بفلان
واليه اذا انفردت او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت
به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمن معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان
في تمردهم

في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم
وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد من الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن
واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل وقالوا انا معكم اي في الدين والاعتقاد خاطبوا
المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان
وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين
ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار انما نحن
مستهزؤن تأكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام
فقد عظم الكفر او استئناف فكأن الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين
وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت
واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به
اي تسرع وتخف الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة
اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم
او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ
اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في
الطغيان واما في الآخرة فبان يفتح لهم وهم في النار باباً الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم
الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف به ولم يعطف ليدل على ان
الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله
بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالاً فحالاً ويتجدد حيناً بعد حين
وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ويمدهم
في طغيانهم يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا اصلحتهما
بالزيت والسماد لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كأملى له ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة
لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التي يمنحها المؤمنين و
خذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم

دينا وظلمة فى قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله
تعالى اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك
ذلك انه اسنده الى الشيطان اطلق الغى وقال واخوانهم يمدونهم فى الغى او اصله يمد لهم بمعنى
يملى لهم ويمد فى اعمارهم كى ينتبهوا او يطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدى الفعل بنفسه
كما فى قوله تعالى واختار موسى قومه او التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون فى طغيانهم ف
والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد فى العصيان والغلو فى الكفر واصله تجاوز الشىء عن مكانه
قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية والعمه فى البصيرة كالعمى فى البصر وهو التحير الامر يقال رجل
عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين
ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه لذاته ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاى العوضين تصورته
بصورة الثمن فباذله مشترى واخذه بايع لذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما فى
يده محصلا به غيره سواء كان من المعانى او الاعيان ومنه اخذت بالجمة رأسا ازعرا وبالثنايا الواضحات
الدردرا وبالطويل العمر عمرا حيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصر ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشىء طمعا
فى غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذى جعل الله لهم بالفطرة التى فطر الناس عليها محصلين للضلالة التى
ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى فما ربحت تجارتهم ترشيح للمجاز لما استعمل الا
الاشتراء فى معاملتهم اتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارهم ونحوه ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش فى وكريه جاش له صدرى والتجارة طلب الربح فى البيع والشرى والربح الفضل على راس المال ولذلك
سمى شفا واسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب
الربح والخسران وما كانوا مهتدين لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد
اضاعوا الطلبتين لان راس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل
استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم راس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا

خاسرين

خاسرين آيسين عن الربح فاقدين للاصل مثلهم كمثل الذى استوقد نارا لما جاء بحقيقة حالهم عقبها
بضرب المثل زيادة فى التوضيح والتقرير فانه اوقع فى القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول
محسوسا ولامر ما اكثر الله فى كتبه الامثال وفشت فى كلام الانبياء والحكماء والمثل فى الاصل بمعنى النظير
يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه
غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة
مثل قوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون وقوله ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان
كحال من استوقد نارا والذى بمعنى الذين كما فى قوله وخضتم كالذى خاضوا ان جعل مرجع الضمير فى بنورهم وانما
جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التى هى صلته وهو
وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه ان لا يجمع كما لا يجمع اخواتها ويستوى فيه
الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة
الفصيحة التى عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم
كسرته ثم اقتصر على اللام باسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذى استوقد
والاستيقاد طلب الوقود والسعى فى تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار
ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا فلما اضاءت ما حوله الاضاءة فرط الانارة ما حول المستوقد ان
جعلتها متعدية والا امكن ان يكون مسندة الى ما والتانيث لان ما حوله اشياء واماكن او الى ضمير
النار وما موصولة فى معنى الامكنة نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتاليف حول للدوران وقيل
للعام حول لانه يدور ذهب الله بنورهم جواب لما والضمير للذى وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال
بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها او استئناف اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت
حالهم بحال مستوقد انطفت ناره او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب
محذوف كما فى قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالتباس واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله
او لان الاطفاء حصل بسبب خفى وامر سماوى كريح ومطر او للمبالغة ولذلك عدى الفعل بالباء دون

ويرى الهدى فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك فقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه
فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه
بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم رأسا الا ترى كيف قرر واكد بقوله وتركهم
وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها
ووصفها بانها ظلمة خالصة لا يترائى فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن
فيها معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله تركهم في ظلمات وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه
والظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة
ظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم
او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد او ظلمة شديدة كانها ظلمات متراكمة ومفعول
لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكان الفعل غير متعد والآية مثل ضربه الله لمن آتاه ضربا من الهدى
فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا او متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الآية الاولى ويدخل
تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره
حين خلوا الى شياطينهم ومن آثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعد ما آمن
ومن صح له احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من نور الارادة او مثل
لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين
في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم
باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها صم بكم عمي لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق و
وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الآيات بابصارهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتفت
قواهم كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا اصم عن الشيء الذي
لا اريده واسمع خلق الله حين اريد واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها
ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير لدى
اسد شاكي

ان تفعل كذا

كقوله

لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم
التشبيه صفحا كما قال ابو تمام الطائي ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء فههنا وان طوي ذكره
بحذف المبتدأ لكنه في حكم المنطوق به ونظيره اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر هذا
اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الآية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى
انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت
قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل
حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا
لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شأنه ان يبصر وقد
يقال لعدم البصيرة فهم لا يرجعون لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها او
او فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون او يتأخرون والى حيث ابتدؤوا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان
اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم او كصيب من السماء عطف على الذي استوقد
اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلق للتساوي من غير
شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا فانها تفيد التساوي في حسن
المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله او كصيب ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين
وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو
النزول يقال للمطر والسحاب قال الشماخ واسحم دان صادق الرعد صيب وفي الآية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به
نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى
سماء كما ان كل طبقة منها سماء قال ومن بعد ارض بيننا وسماء امد به ما في الصيب من المبالغة من جهة الاصل
والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية فيه ظلمات ورعد وبرق ان اريد
بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه وتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق
لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها
بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب

لانه صفة صيب وليس المراد انه متعين لهذا الوجه خاصة
لاتفاقهم عليه فانه يجوز ان يكون الظرف خبرا مقدما على المبتدأ

واستطالته اذا احتدتها الريح من الاعادة والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقاً وكلاهما مصدر في
الاصل ولذلك لم يجمعا يجعلون اصابعهم في آذانهم الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم
الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى
يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استئناف فكانه لما ذكر ما يؤذن بالشدة
والهول قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة من الصواعق
متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء الا اتت
عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته
بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين
في التصرف فيقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاقعة وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد
والتاء للمبالغة كما في الرواية او مصدر كالعاقبة والكاذبة حذر الموت نصب على العلة كقوله واغفر عوراء الكريم
ادخاره والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى
التقدير والاعدام مقدرة والله محيط بالكافرين لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع
والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها يكاد البرق يخطف ابصارهم استيناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم
مع تلك الصواعق وكاد من الافعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد
اما لفقد شرط او لعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف
عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان ليؤكد القرب
بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف من خبرها لمشاركتهما في اصل معنى
المقاربة والخطف الاخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء
الى الخاء ثم ادغمت في الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويتخطف كلما
اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق
وخفيته فاجيب بذلك واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى
كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة اظلم
على البناء للمفعول وقول ابي تمام هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب فانه وان كان من

من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع الاضاءة كلما
ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى
قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم
وابصارهم اي لو شاء الله ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف
المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله
فلو شئت ان ابكي دما لبكيته ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة
انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه
على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشيئة الله تعالى وان وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته وقوله
ان الله على كل شيء قدير كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء
اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشيء
اخرى اي مشيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله تعالى ان الله على كل
شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد
وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في
الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل
قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان
شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء ولذلك قلما يوصف به غير الباري تعالى
واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما يقتضيه مشيئته
وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور الله تعالى
لانه شيء وكل شيء مقدور والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان تشبه
كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله
تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التوراة
بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة

بايكه وبحال من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف
وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تأخذ اشياء فرادى فتشبهها
بامثالها كقوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور
وقول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بان تشبه في
الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من
حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال
ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وافشاء حالهم وابقائهم في الخسار الدائم والسرمد باطفاء
نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط بالكفر
والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة
عاد نفعه ضرا ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع
في الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من
المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما يأتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها
فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك
لهم وقيل شبه الايمان والقرآن وسائر ما اوتي الانسان من المعارف التي هي سبب الحيوة الابدية
الابدية بالصيب الذي به حيوة الارض وما ارتبكت بها من شبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات
المشكلة بالظلمات وشبه ما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصامهم
عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه
لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد تطمح
اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين يعرض لهم شبهة
او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه
تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة و
سدوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها على ما شاء قدير يا ايها الناس

اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا
له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشأنها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى
به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته
وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل واي
جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطي
حكم المنادى واجري عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت بينهما
هاء التنبيه تأكيدا وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن
لاستقلاله باوجه من التأكيد وكلما نادى الله له عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها
ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالآكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة
باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة
كلهم اجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شائعا ذائعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد
معنى لما تواتر من دينه عليه السلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة
الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين آمنوا
فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة
والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة ولا
والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع
وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها
على ان الموجب للعبادة هي الربوبية الذي خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح
ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء
على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس والذين من قبلكم متناول كل
ما يتقدم الانسان بالذات والزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر
عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض

لتعذر

ليقول الله او لتمكنهم من العلم بادنى نظر وفي ذكر من قبلكم على اتي مع الموصول الذي بين الاول وصلته تاكيد كما اقحم
جرير في قوله شعر يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه لعلكم تتقون حال من الضمير
في اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين
لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري عن كل شيء
سوى الله تعالى الى الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم
خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم
ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب المخاطبين
على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقوا كما قال تعالى وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله فالآية تدل على ان الطريق الى
معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان
العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو
كاجير اخذ الاجر قبل العمل الذي جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او
مبتدا خبره فلا تجعلوا وجعل من افعال العامة يجيء على ثلاثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله
فقد جعلت قلوص بني سهيل من الاكوار مرتعها قريب وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى
وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير ويتعدى الى المفعولين كقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون
بالفعل تارة وبالقول والعقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في
طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة ~~وذلك لا يستدعي كونها~~ بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأة
لان يقعدوا وينامو عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم
حجمها واتساع جرمها لا يابى الافتراش عليها والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع
على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء
ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء فاخرج

فاخرج به

فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله ومشيئته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب
سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما او ابدع
او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء
كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكم يجدد فيها
لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب و
والافلاك فان ما علاك سماء والفلك فان المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر او من
اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو السماء فتنعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل
بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له اعني ماء ورزقا كانه قال فانزل من السماء بعض الماء فاخرجنا
به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمرات ولا جعل
المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات جمع القلة
والموضع موضع الكثرة لانه اريد به جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من الثمرة على
التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها موضع بعض كقوله كم تركوا من جنات وقوله ثلاثة قروء او لانها لما كانت
محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوله ان اريد به المصدر كانه قال رزقا
اياكم فلا تجعلوا لله اندادا متعلق باعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جواب له او لعل
على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الحاقا لها بالاشياء الستة
لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا له اندادا او بالذي جعل ان استانفت به على انه
نهي وقع خبرا على تاويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى
من حقكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوئ قال جرير اتيما تجعلون
الي ندا وما تيم لذي حسب نديد من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات كما
خص المساوي للمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا وما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته
ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها

ذات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان
جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين
اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا
منفرد بوجود الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منازعته وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله هل من شركائكم
من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان
العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون الآيتين الآيتين هو الامر بعبادة الله والنهي عن
الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي لها وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا
بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة
والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والملبوس والرزق اعم من المأكول والمشروب ثم لما كانت
هذه الامور لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الآية
الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات
على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية
المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى
السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا وان
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر
عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق وافحم من طولب
بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم في المضادة وتهالكهم على المعازة والمعاندة
وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع
على ما يرى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم فقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة
واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره
بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ على عبادنا يريد محمدا وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة

التي اقلها

التي اقلها ثلث آيات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سورة المدينة على حائطها او من السورة التي هي الرتبة
قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لان السورة كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ او لها مراتب
في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السورة التي هي البقية والقطعة
من الشيء والحكمة في التقطيع القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل
الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك عنه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ
متى حذقها اعتقد انه اخذ من القرآن حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده
وابتهج به الى غير ذلك من الفوائد من مثله صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض
او للتبيين وزائدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي
بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فأتوا والضمير
للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فأتوا بسورة مثله ولسائر آيات التحدي ولان الكلام فيه
لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان يأتوا بمثل ما اتى به
واحد من ابناء جلدتهم ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليأت بنحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز في نفسه
لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان رده
الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله وادعوا شهداءكم من دون الله فانه
امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام
وكانه سمي به لانه يحضر النوادي وتبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول
في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه تدوين الكتب
لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو
اي في الشرف ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي امر الى آخر قال الله
تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزون ولاية المؤمنين

الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق ولا لسبع بنات الدهر من واق اي اذا تجاوزت
وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى ادعوا الى المعارضة من حضركم او رجوتم معونته من انسكم
وجنكم والهتكم غير الله فانه لا يقدر ان ياتي بمثله الا الله او ادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به
مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او شهداءكم اي شهداءكم الذين اتخذتموهم
من دون الله اولياء او آلهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيمة والذين يشهدون لكم بين
يدي الله على زعمكم من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا
بالجماد في معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله اي من دون اوليائه يعني فصحاء
العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح
فساده وبان اختلاله ان كنتم صادقين انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق
الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله
لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا
عالمين به فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به
امر الرسول وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم
في معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب
فآمنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان وغيره ايجازا ونزل
لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز
وصدر الشرطية بان التي للشك والحال يقتضي اذا الذي للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن شاكا في عجزهم
ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم او خطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل
التامل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول
ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع وكانه قال فان تركتم الفعل

ولذلك ساغ

ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل في
احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله لا ان وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما توقد به
النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم
ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد الاسم وان اريد المصدر فعلى حذف
المضاف اي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي
نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار بمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا
يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها ويغترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد
هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض
تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث يتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت يتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا
عن ابن عباس فلعله عنى به ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الآية مدنية نزلت
بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة
فانها يجب ان تكون قصة معلومة اعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت
من العتاد بمعنى العدة والجملة استئناف او حال باضمار قد من النار لا الضمير الذي في وقودها وان
جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض
على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة
من سور القرآن ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجأوا الى
جلاء الوطن وبذل المهج والثاني انهما يتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوا بشيء لامتنع خفاؤه
عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث انه عليه السلام لو شك في امره لما دعاهم
الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة

معدة لهم الآن وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات عطف على الجملة السابقة
والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت
به العادة الالهية من يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي
لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا
لانهم اذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب
ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول عليه
السلام او عالم كل عصر او كل واحد يقدر على البشارة بان يبشرهم على البناء للمفعول ولم يخاطبهم بالبشارة
بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشأنهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنئوا بما اعد لهم وقرئ وبشر
على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استئنافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور
في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو
حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم
التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع الصالحة وهي من الصفات الغالبة
التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لأم بظهر الغيب تأتيني
وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتأنيثها على تأويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل
على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعار بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان
الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه ولذلك
ولذلك قلما ذكرا منفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه ولا على ما
هو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله
لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي به الشجر المظلل لالتفاف
اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا
طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة والمظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك
لانه ستر

لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها
وتنكيرها لان الجنان ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة النعيم ودار الخلد وجنة ودار السلام
وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام يدل على
استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافئ النعم السابقة فضلا من ان يقتضي
ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت
وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه
السلام لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه لم يقيده هنا استغناء بها تجري من تحتها
الانهار من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة تجري
تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي
الانهار المذكورة في قوله انهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع واسناد الجري
اليها كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا
رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة كانه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع
اثمارها مثل ثمار الدنيا او اجناس آخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى
والثانية للابتداء واقعتا موقع الحال وتقدير الكلام ومعناه كل حين او مرة رزقوا مرزوقا مبتدأ من
الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال
الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رأيت
رأيت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك
لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كان الاشارة الى عينه
فالمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة من قبل اي من قبل
هذا في الدنيا جعل ثمرة الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما رأت فان الطباع مائلة
الى المألوف متنفرة عن غيره ويتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون

[illegible] دون الانهار [illegible]
[illegible]

را كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه الصور كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فياكل منها ثم
يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف ولما روي انه عليه
السلام قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله
مكانها مثلها فلعلهم اذا رأوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على
ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم
في اللذة والتشابه البليغ في الصورة واتوا به متشابها اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما
رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله
اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو
مفقود بين الثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت
التشابه بينهما الصورة التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه هذا وان
للآية محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة
متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابهها تماثلها في
الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد ولهم فيها ازواج
ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق
فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان فيقال النساء
فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت
فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة ومطهرة بالتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى المتطهرة ومطهرة ابلغ
من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والانثى
وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع
وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها

وسائر احوالها

ومناكحها وسائر احوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها
على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد
عين فائدتها وهم فيها خالدون دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم
يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خلد
ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد في قوله تعالى خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث
لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل
فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام
هاهنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة
الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت
انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا متقاومة في الكيفية متساوية في
القوة لا يقوى شيء منها على احالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد في
بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف
البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على
ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها الخوف
الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم في الآخرة
الآخرة بابهى ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم
والسرور ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت الآيات السابقة متضمنة للانواع
من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له
من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل انما
يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم
العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه الميل الى الحس
وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات
الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما في الانجيل مثل

غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب
اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت
الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن
والضعف ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب
الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل ورتب
عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال الله
لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس
عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل
الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحيوة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها
عن افعالها فقيل حيي الرجل كما يقال نسي وحشي اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به الباري
تعالى كما جاء في الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا
رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد بها الترك قوله يصف ابلا اذا ما
اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما الموضوع
لها ونظيره قول يصف ابلا اذا ما استحيى الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد وانما عدل
به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الآية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام
الكفرة وضرب المثل اعتماله من ضرب الخاتم واصله وقع شيء على آخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار
من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا
وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله
فبما رحمة ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فان القران كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما
وضعت لان تذكر مع غيره فتفيده وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة

عطف بيان

عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانه نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى
الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدا وعلى هذا يحتمل ما وجوها آخر ان يكون موصولة حذف
صدر صلتها كما حذف في قوله تماما على الذي احسن وتفصيلا وموصوفة بصفة كذلك ومحلها
النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدا كانه رد استبعادهم ضرب الله
الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك
ونظيره فلان لا يبالي بما وهب ما دينار وديناران والبعوضة فعولة من البعض وهو القطع كالبضع
والعضب غلب على هذا النوع كالخموش فما فوقها عطف على بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه
ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي
ضرب المثل بالبعوضة فضلا عما هو اكبر منه او في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر
والحقارة كجناحها فانه عليه السلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي ان رجلا
بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة
فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في الالم كالخرور او ما
زاد عليها في القلة كنخبة النملة لقوله عليه السلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة
النملة فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اما حرف تفصيل يفصل ما اجمل ويؤكد ما به صدر و
يتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد
ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا
ايلاءها حرف الشرط فادخلوا الخبر وعوض المبتدا عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين
واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي
لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت
ومنه ثوب محقق محكم النسج واما الذين كفروا فيقولون كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق
قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون

كالبرهان عليه وماذا اراد الله بهذا مثلا يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده
صلته والمجموع خبرها وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية
مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال
والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ
النزوع والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى به ولذلك
اختلف في معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها
فعلى هذا لم يكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر
الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا
الترجيح وهو اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على
التمييز او الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب ماذا اي اضلال كثير
وهداية كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين باما
وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال
وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون
بالاضافة الى اهل الضلال كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين
من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا
وقال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا وما يضل به الا الفاسقين اي الخارجين
عن حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا
خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع
الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا
اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها
مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان عن عنقه ولابس الكفر وما دام
هو في درجة

هو في درجة التغابي او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى
الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع
التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن
والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق
يدل على انه الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم
واصرارهم على الباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم
وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ يضل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع الذين
ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات
الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط
احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا
الى ما هو من روادفه وهو ان العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس
اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق
ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها
والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد المأخوذ من العقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده
ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او المأخوذ بالرسل على الامم بانهم
اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم
بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء
بان يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد
به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب او ما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون
بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل
قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء

عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع
الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من وصل يصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل
مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما
كما قيل له شان وهو الطلب والقصد يقال شانت شانه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب
والخفض على انه بدل من ما او ضميره والاول احسن لفظا ومعنى ويفسدون في الارض بالمنع عن
الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه اولئك هم الخاسرون
الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن
والطعن في الآيات بالايمان بها والنظر في حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء
بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار و
وتعجب بكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة
وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ و
واقوى في انكار الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم
بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم
المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون وكنتم امواتا اي اجساما لا حيوة لها
عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة فاحياكم بخلق الارواح
ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ثم يميتكم عند
تقضي آجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ الصور او السؤال في القبور ثم اليه ترجعون بعد
الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه
فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه ترجعون قلت
تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الآية
تنبيه على ما يدل على صحتها وهو انه تعالى لما قدر ان احياهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق
الخلق ليس باهون عليه من اعادته او مع القبيلين فانه سبحانه لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم

ووعدهم

ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر
منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف يعد الاماتة من
النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة الحقيقية كما قال تعالى وان الدار
الآخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان
الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع
المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا
فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية في القوة ثم اليه ترجعون
فينبئكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها
وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لانها من طلائعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل
كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال الله تعالى
الله يحييكم ثم يميتكم وقال واعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له
نورا يمشي به في الناس واذا وصف به الباري تعالى اريد به صحته لما اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه
القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرئ يعقوب ترجعون بالفتح الذي في جميع القرآن
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة
بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم
باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط وفي دينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلائمها
من لذات الآخرة وآلامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة
الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه
فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد بها جهة السفل
كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثاني ثم استوى

هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى
وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم
بوسط او بغير وسط او دينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلائمها من لذات الآخرة وآلامها لا على وجه الغرض فان
الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء
النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كالاحياء
كل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد به جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثاني
ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا
مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية
وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه في الله تعالى لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال قد
قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية
المرتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين
وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر
قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء
وتسويتها الا ان يستأنف بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا آخر دل عليه أأنتم اشد خلقا مثل تعرف الارض
وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر فسواهن عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن
ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا
سبع سموات بدل او تفسير فان قيل أليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت
فيما ذكروه شكوك فان صح فليس في الآية نفي الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق
لم يبق خلاف وهو بكل شيء عليم فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق
ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب
الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عليم حكيم عليم
رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعد ما تفتتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما
يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها
فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل شيء خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على

ثلث مقدمات وقد برهن عليها في الآيتين اما الاولى فهي ان المراد المواد الابدان قابلة للجمع والحيوة عليهما واشار
الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل على
انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يأبى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها
وان اشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم وانه
خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على
تناهي علمه وكمال حكمته وقد سكن نافع برواية قالون وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهي تشبيها له بعضد واذ
واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق آدم واكرامه
وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما
وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى وكذلك يجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان
وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازات ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف
الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله واذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادث
اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الآية قالوا او اذكر على التأويل المذكور لانه جاء
معمولا له صريحا في القرآن كثيرا او مضمر الصلة وعن معمر انه مزيد دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم
اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملأك على الاصل
كالشمائل في جمع شمأل والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوب مألك من الألوكة وهي الرسالة لانهم وسائط
بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد الاتفاق على انها ذوات
موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين
مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة
المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين
قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون
الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق
به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية
ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض

الارض

الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في
جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجبال والجزائر وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة اعمل فيهما
لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه
والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عم لانه كان خليفة الله في ارضه وكذا كل نبي استخلفهم في عمارة الارض وسياسة
الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل القصور المستخلف عليه عن قبول
فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء
لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن
كان منهم اعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عم في الميقات ومحمدا صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج
ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما
الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذلك او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته
لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه
كما استغني بذكر ابي القبيلة في قولهم مضر وهاشم او على تأويل من يخلف او خلفا يخلفهم يخلفكم وفائدة
قوله للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شأن المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل
خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما
يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك قالوا اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف مكان
اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار
عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره وليس باعتراض على الله تعالى ولا
طعن في بني آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى او تلق من اللوح المحفوظ او استنباط عما ركز في
عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع
من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن
في الصب من فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء

جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة
لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعنى استخلف عصاة ونحن معصومون
احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف
لا العجب والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤديان به
الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في
استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية
فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا
صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا
ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات
من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا بقوله قال اني اعلم ما لا
تعلمون والتسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب
فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار وبحمدك في موضع الحال اي متلبسين بحمدك
على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا
عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء
الذي هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك واللام زائدة وعلم آدم الاسماء
كلها اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب
عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة والادمة
او الادمة بالفتح من الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه عليه السلام انه تعالى قبض قبضة من جميع سهلها و
حزنها فخلق منها آدم فلذلك اتى بنوه اخيافا او من الادم او الادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق
ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء
ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان
مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الا

السمرة / الأدمة

الازمنة الثلثة

الازمنة الثلثة والمراد في الآية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على
العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من
المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسماءها واصول العلوم و
قوانين الصناعات وكيفية آلاتها ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ
التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله واشتعل الرأس شيبا
لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد به الالفاظ والمراد به
ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى
عرض مسمياتهن او مسمياتها فقال انبئوني باسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان
التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال
وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما
ان كنتم صادقين في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو
وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه لغرض ما يلزم مدلوله
من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاءات قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار
بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه و
اظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران
ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله
سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح
التوبة فقال موسى سبحانك تبت اليك وقال يونس سبحانك اني كنت من الظالمين انك انت العليم الذي
لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد للكاف كما في
قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل
وقيل مبتدا خبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء
فيهما فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون
استحضار لقوله اني اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور
السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك

ما لا يسوغ

الاولى ان

الادب وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون
استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر ابليس
منهم من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الآيات
تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح
الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية والتعليم يقتضي
اسناده فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها
وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم عليه السلام فيكون من الله تعالى
وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم
وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله تعالى
وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى قل هل
يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم لما انبأهم بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما
قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا
له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف ان نصبته بمضمر والا عطفه
بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل
تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذا طأطأ رأسه
وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة
لسجودهم تفخيما لشأنه او سببا لوجوبه فكأنه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها
ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة
الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما رأوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا
لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن
والسنن او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة
يوسف له او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المأمورين بالسجود

الملائكة

الملائكة كلهم او طائفة منهم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه
وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر
ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وكان من الكافرين اي في علم الله تعالى او صار منهم
باستقباحه امر الله اياه بالسجود لآدم اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل
به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا
بترك الواجب وحده والآية تدل على ان آدم افضل من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان
من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى كان من الجن لجواز ان يقال
انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس رضي الله عنه روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن
ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشأ بين اظهر الملائكة وكان مغمورا
بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكرهم عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مأمورون
بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مأمورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين كأنه قال فسجدوا
المأمورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس
معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم
بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قال ابن
عباس رضي الله عنه ولذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله عز وجل الا ابليس كان
من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة
انه صلى الله عليه وآله انه قال خلقت الملائكة من النور وخلق الجان من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرت
فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من
فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الى الحالة الاولى
جذعة ولا يزال يتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين
النصوص والعلم عند الله تعالى ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث
على الائتمار لامره وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر ١
هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابي
الحسن الاشعري وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة السكنى من السكون لانها استقرار ولبث

وأنت تأكيد أكد به المستكن ليصح العطف عليه وإنما لم يخاطبهما أولاً تنبيهاً على أنه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لأن اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم أنها لم تخلق بعد قال إنه بستان كان بأرض فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحاناً لآدم وحمل الإهباط على الانتقال منه إلى أرض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصراً وكلا منها رغداً واسعاً رافهاً صفة مصدر محذوف حيث شئتما أي مكان من الجنة شئتما وسع الأمر عليهما إزاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين أشجارها الفائتة للحصر ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيهاً على أن القرب من الشيء يورث داعية وميلاً يأخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي أن لا يحوما حول ما حرم عليهما مخافة أن يقعا فيه وجعله سبباً لأن يكونا من الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي أو بنقص حظهما بالإتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فإن الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهي أو الجواب له والشجرة هي الحنطة أو الكرمة أو التينة أو شجرة من أكل منها أحدث والأولى أن لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذي بالياء فأزلهما الشيطان عنها أصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن أمري أو أزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما ويعضده قراءة حمزة فأزالهما وهما متقاربان في المعنى غير أن أزل يقتضي عثرة مع الزوال وإزلاله قوله هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ومقاسمته إياهما بقوله إني لكما لمن الناصحين واختلف في أنه تمثل لهما فقاولهما بذلك أو ألقاه إليهما على طريق الوسوسة وأنه كيف توصل إلى إزلالهما بعدما قيل له اخرج منها فإنك رجيم فقيل إنه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع أن يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل أرسل بعض أتباعه فأزلهما والعلم عند الله تعالى فأخرجهما مما كانا فيه من الكرامة والنعيم وقلنا اهبطوا خطاب لآدم وحواء لقوله تعالى قال اهبطا منها جميعاً وجمع الضمير لأنهما أصلا الإنس فكأنهما الجنس كلهم أو هما وإبليس أخرج منها ثانياً بعدما كان يدخلها للوسوسة أو دخلها مسارقة أو من السماء بعضكم لبعض عدو حال استغني فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله ولكم في الأرض مستقر موضع استقرار أو استقرار ومتاع تمتع إلى حين يريد به وقت الموت أو القيامة فتلقى آدم من ربه كلمات استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات على أنها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك

اسمك

اسمك وتعالى جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وعن ابن عباس قال يا رب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة قال نعم وأصل الكلمة الكلم وهو التأثير المدرك بإحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وإنما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنها معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على أن لا يعود إليه واكتفى بذكر آدم لأن حواء كانت تبعاً له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في أكثر القرآن والسنن إنه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة أو الذي يكثر إعانتهم على التوبة وأصل التوبة الرجوع فإذا وصف بها العبد كان رجوعاً عن المعصية وإذا وصف بها الباري تعالى أريد به الرجوع عن العقوبة إلى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالإحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعاً كرر للتأكيد أو لاختلاف المقصود فإن الأول دل على أن هبوطهم إلى دار بلية يتعادون ولا يخلدون والثاني أشعر بأنهم أهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن أضله هلك والتنبيه على أن مخافة الإهباط المقترن بأحد هذين الأمرين وحدها كافية للحازم أن تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزماً وأن كل واحد منهما كفى به نكالاً لمن أراد أن يذكر وقيل الأول من الجنة إلى السماء الدنيا والثاني منها إلى الأرض وهو كما ترى وجميعاً حال في اللفظ تأكيد في المعنى كأنه قيل اهبطوا أنتم أجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤوا جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الأول وما مزيدة أكدت به إن ولذلك حسن تأكيد الفعل بالنون وإن لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى إن يأتينكم مني هدى بإنزال وإرسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وإنما جيء بحرف الشك وإتيان الهدى كائن لا محالة لأنه محتمل في نفسه غير واجب عقلاً وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لأنه أراد بالثاني أعم من الأول وهو ما أتى به الرسل واقتضاه العقل أي فمن تبع ما أتاه مراعياً فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلاً أن يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه والخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب وأثبت لهم الثواب على آكد وجه وأبلغه وقرئ هديّ على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون عطف على من تبع إلى آخره قسيم له كأنه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا بآياته أو كفروا بالآيات جناناً وكذبوا بها لساناً فيكون الفعلان متوجهين إلى الجار والمجرور والآية في الأصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث إنها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من أيّ لأنها تبين أيّاً من أيّ أو من أوى

او من اليه واصلها ايبة او اوبة كثيرة فابدلت عينها على غير قياس او ايبة او اوبة كرمكة فاعلت او ائبة كقائلة فحذفت
الهمزة تخفيفا والمراد باياتنا الآيات المنزلة او ما يعمها والمعقولة تنبيه وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة
الانبياء عليهم السلام من وجوه الاول ان آدم عم كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص والثاني انه جعل بارتكابه
من الظالمين والظالم ملعون لقوله الا لعنة الله على الظالمين والثالث انه تعم اسند العصيان والغي اليه فقال وعصى آدم
ربه فغوى والرابع انه لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه
بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من
وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان والثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم و
خسر حظه بترك الاولى له واما اسناد الغي والعصيان اليه فسيأتي الجواب عنه في موضعه ان شاء الله تعم وانما
امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه والثالث
انه فعله ناسيا لقوله فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن
الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عليه الصلوة والسلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالا
مثل او ادى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم على الجهل بشأنه لا يقال انه
باطل لقوله تعم ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة وقاسمهما الآيتان لانه ليس فيهما ما يدل على ان تناوله حين ما قال له ابليس
فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعم الى ان نسي ذلك وزال المانع
فحمله الطبع والرابع انه عم اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطأ فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك
الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عم اخذ حريرا وذهبا بيده
وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى تفظيعا لشأن الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها عليه ما جرى
دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مأمون العاقبة
وان عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعم هم فيها خالدون واعلم انه
سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتأكيدا فانها من
حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على
ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها
ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك تدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على
الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهده في اتباع الحق واقتفاء
الحجج ليكونوا

الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد عم وما انزل عليه فقال يا بني اسرائيل اي اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبنى ابيه
ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عم ومعناه بالعبرية صفوة الله
وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرائيل بقلب الهمزة ياء اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
اي بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله
الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضاء والشكر وقيل
اراد بها ما انعم على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك
زمن محمد عم وقرئ اذكروا والاصل اذتكروا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء
المكسورة ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد
والمعاهد ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعم عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل
وانزال الكتب ووعد لهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي
الشهادة ومن الله تعم حقن الدم والمال واخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا
عن غيره ومن الله تعم الفوز باللقاء الدائم وما روي عن ابن عباس رض اوفوا باداء الفرائض وترك
الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى
الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من
حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعم ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات وقرئ اوف
بالتشديد للمبالغة واياي فارهبون فيما تأتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة
التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه
قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف مع تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب
الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم افراد للايمان
بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية
من حيث انه نازل حسبما نعت فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة
والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار
في المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم
في ايام المتاخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه الصلوة والسلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه على

اوفوا بعهدي في اتباع محمد اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال عنكم

ان اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا اول كافر به بان الواجب ان تكونوا اول من امن
به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر وقع خبرا
عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتأويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف
نهوا عن التقديم في الكفر وقد سبقهم مشركوا العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما
انا فلست بجاهل او ولا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل
من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوءل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي او من اءول
من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع
لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الايمان
وقيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وآله فاختاروها
عليه وقيل كانوا يأخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه واياي فاتقون بالايمان والاتباع الحق
والاعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة
بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي هي
~~مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد بالرهبة امرهم بالرهبة التي هي مقدمة السلوك~~
والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على
ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي
تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله
او تذكرونه في تأويله وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا
عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع
اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود رض وتكتمون اي وانتم تكتمون بمعنى
كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وانتم تعلمون عالمين بانكم لابسون كاتمون
فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما كلا صلوة
ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكا
زكا الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة في المال او يثمر في النفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة
فانها تطهر

فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع
بسبع او عشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع
الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشرع قال الاضبط السعدي لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه
أتأمرون الناس بالبر تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك
قيل البر ثلثة بر في عبادة الله وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب وتنسون انفسكم وتتركونها من البر
كالمنسيات وعن ابن عباس رض انها نزلت في احبار المدينة يأمرون سرا من نصحوه باتباع محمد صلعم ولا يتبعونه و
وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وانتم تتلون الكتاب تبكيت كقوله وانتم تعلمون اي تتلون التورية
وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل أفلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم
عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يمنعه عن القبيح ويعقله على ما يحسن
ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الادراك والآية ناعية على من يعظ غيره ولا يعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه
وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ
على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين
المأمور بهما لا يوجب الاخلال بالآخر واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق عليهم لما
فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج
توكلا على الله تعالى او بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة
والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال
فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب و
ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى
تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب روي انه عم كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها
اي الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شأنها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما
امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين اي المخبتين
والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح
والخضوع بالقلب الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اي يتوقعون لقاء الله ونيل
ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله فيجازيهم ويؤيده انه في مصحف ابن مسعود رض يعلمون وكان

الظن لما فيه من العلم في رجحان اطلق عليه لتضمن معنى التوقع وقال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه
مخالط ما بين الشراسيف جائف وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها
ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثم قال عليه السلام جعلت قرة عيني في الصلوة يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم كرره للتوكيد وتذكير التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد
تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها واني فضلتكم عطف على نعمتي على العالمين اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل
آبائهم الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء
وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف واتقوا يوما اي ما فيه من الحساب والعذاب
لا تجزي نفس عن نفس شيئا لا تقضي عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ
من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي و
والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه
الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله ام مال اصابوا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي
من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكأنه اريد بالآية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه
اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطي
عنه عدلا والشفاعة من الشفع كأن المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية
وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها سويت بالمفدى وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولا تقبل بالتاء
ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة
في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد او الاناسي والنصرة اخص من المعونة
من المعونة لاختصاصها بدفع الضر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة ان ويؤيده
الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان آباءهم تشفع لهم واذ نجيناكم من آل فرعون
تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة
وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون
لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتجبر
وكان فرعون موسى عليه السلام مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما
اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء

سوء العذاب

> قهرا او غيره والاول النصرة

سوء العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من
الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك
لم يعطف عليه وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون رأى في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب
بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا وفي ذلكم بلاء محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله
الاختبار لكن لما كان اختبار الله تعالى عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع
بينهما من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم او بهما عظيم صفة بلاء وفي الآية تنبيه على ان ما
يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين واذ
فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او
ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرّقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط
فانجيناكم واغرقنا آل فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه
كما روي ان الحسن يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن اتباعه وانتم تنظرون ذلك
غرقهم واطباق البحر عليهم وانفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر
بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى عليه السلام ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على
شاطئ البحر فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهرت فيه اثنا عشر طريقا فسلكوها فقالوا يا موسى عليه السلام
نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم وصل اليه فرعون ورآه
منفلقا فاقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بني
اسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن
امة محمد عليه السلام مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية دقيقة يدركها الاذكياء واخباره عليه السلام عنها من جملة معجزاته على
ما مر تقريره واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه
التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرأ ابن كثير
ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعده موسى المجيء للميقات الى
الطور ثم اتخذتم العجل الها ومعبودا من بعده من بعد موسى عليه السلام او مضيه وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا
عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس من بعد ذلك اي الاتخاذ لعلكم تشكرون لكي

تشكرون عفوه وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التوراة الجامع بين كونه كتابا وحجة يفرق بين الحق
والباطل وقيل أراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين الحق والباطل في الدعوى أو بين الكفر والإيمان وقيل
الشرع الفارق بين الحلال والحرام أو النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد يوم بدر
لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الآيات وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم
باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع إلى من خلقكم بريئا من التفاوت ومميزا بعضكم
بعضها عن بعض بصور وهيئات مختلفة وأصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره إما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض
من مرضه والمدين من دينه أو الإنشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين أو فتوبوا فاقتلوا أنفسكم تماما لتوبتكم
بالبخع أو قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ولم يقتلها لم يحيها وقيل أمروا أن يقتل بعضهم بعضا
وقيل أمر من لم يعبد العجل أن يقتل العبدة روي أن الرجل يرى بعضه وقريبه فلم يقدر المضي لأمر الله فأرسل ضبابة وسحابة
سوداء لا يتباصرون فأخذوا يقتلون من الغداة إلى العشي حتى دعا موسى وهارون فكشفت السحابة ونزلت
التوبة فكانت القتلى سبعين ألفا والفاء الأولى للتسبيب والثالثة للتعقيب ذلكم خير لكم عند بارئكم
من حيث إنه طهرة من الشرك ووصلة إلى الحيوة الأبدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم متعلق بمحذوف
إن جعلته كلام موسى عليه السلام لهم تقديره إن فعلتم ما أمرتم به فقد تاب عليكم أو عطف على محذوف إن جعلته خطابا
من الله لهم على طريقة الالتفات كأنه قال ففعلتم ما أمرتم فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الأمر
إشعار بأنهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم إلى عبادة البقرة التي هي مثل
في الغباوة وإن من لم يعرف حق منعمه حقيق بأن يسترد منه ولذلك أمروا بالقتل وفك التركيب إنه
هو التواب الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة أو قبولها من المذنبين ويبالغ في الإنعام عليهم وإذ قلتم
يا موسى لن نؤمن لك لأجل قولك أو لن نقر لك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي في الأصل مصدر قولك جهرت بالقراءة
واستعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لأنها نوع من الرؤية أو الحال من الفاعل أو المفعول وقرئ جهرة بالفتح
على أنها مصدر كالغلبة أو جمع كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام للميقات
وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به أن الله الذي أعطاك التوراة وكلمك أو أنك نبي فأخذتكم الصاعقة
لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فإنهم ظنوا أن الله تعالى يشبه الأجسام فطلبوا رؤيته رؤية الأجسام في الجهات والأحياز المقابلة
للرائي وهي محال بل الممكن أن يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة ولأفراد من الأنبياء في
بعض الأحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فأحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين
ميتين يوما

ميتين يوما وليلة وأنتم تنظرون ما أصابكم بنفسه أو أثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد
البعث لأنه قد يكون من إغماء أو نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم لعلكم تشكرون نعمة البعث أو ما كفرتموه لما رأيتم
بأس الله بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه
وأنزلنا عليكم المن والسلوى الترنجبين والسماني وقيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر إلى الطلوع
وتبعث الجنوب عليهم السماني وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكان ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا من
طيبات ما رزقناكم على إرادة القول وما ظلمونا فيه اختصار وأصله فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا ولكن
كانوا أنفسهم يظلمون بالكفران لأنه لا يتخطاهم ضرره وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل
أريحا أمروا به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم رغدا واسعا ونصبه على المصدر أو الحال من الواو وادخلوا
الباب سجدا أي باب القرية أو القبة التي كانوا يصلون إليها فإنهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام
سجدا متطامنين مخبتين أو ساجدين لله شكرا على إخراجهم من التيه وقولوا حطة أي مسألتنا أو أمرك حطة
وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الأصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة أو على أنه مفعول قولوا
هذه الكلمة وقيل معناه أمرنا حطة أي أن نحط في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم
ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا أصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه أنه أبدلت
الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الألف واجتمعت همزتان فأبدلت الثانية ياء ثم قلبت ألفا وكانت
الهمزة بين الألفين فأبدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر وسنزيد المحسنين
ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن وأخرجه عن صورة الجواب إلى الوعد إيهاما
بأن المحسن بصدد ذلك وإن لم يفعله فكيف إذا فعله وأنه يفعله لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا
غير الذي قيل لهم بدلوا بما أمروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من أعراض الدنيا فأنزلنا على
الذين ظلموا كرره مبالغة في تقبيح أمرهم وإشعارا بأن الإنزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه
أو على أنفسهم بأن تركوا ما يوجب نجاتها إلى ما يوجب هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم
والرجز في الأصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي أنه مات به في ساعة
أربعة وعشرون ألفا وإذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد
على ما روي أنه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكان ينبع من كل وجه ثلاث أعين تسيل كل عين في جدول إلى
سبط وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا أو حجرا أهبطه آدم من الجنة ووقع إلى شعيب فأعطاه مع
وهو محل نزول العسكر

العصا والحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه من الادرة فاشار اليه جبرئيل عليه السلام بحمله او
للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها
حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا
عطشا فاوحى الله اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع
والعصا عشرة اذرع على طول موسى عليه السلام من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت منه اثنتا
عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما مر في قوله فتاب عليكم وقرئ عشرة
بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا على تقدير القول
من رزق الله ولا تعثوا في الارض حتى ان لا تعتدوا يريد به ما رزقهم الله من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده
لانه يشرب ويؤكل مما ينبت به ولا تعثوا في الارض اي لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد — مفسدين
فانه قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه
السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة
تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق
الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك
انه لا يختلف ولا يتبدل كقوله واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا في التيه من المن
والسلوى وبوحدته انه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انه لا يتغير الوانه ولذلك
اجموه او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه
فادع لنا ربك سله لنا بدعائك اياه يخرج لنا يظهر ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة
مما تنبت الارض من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها
وعدسها وبصلها تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد
به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ قثائها بالضم وهو لغة فيه
قال اي الله او موسى عليه السلام اتستبدلون الذي هو ادنى اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب في المكان
فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة بالذي هو — للخسة بدل
خير يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة في السعي اهبطوا مصرا انحدروا اليه — خير
من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد

بين الشيئين

بين الشيئين وقيل المراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على تاويل البلد ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود
وقيل اصله مصرائيم فعرب فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة احيطت بهم احاطة القبة
بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء
مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان تضاعف جزيتهم وباءو بغضب من الله رجعوا به او صاروا
احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة ذلك اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة — ذلك بانهم
والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات
التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر
او بالكتب المنزلة كالانجيل والقرآن وآية الرجم والتي فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقتلهم الانبياء فانهم
قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك
اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء
فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدي الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات
اسباب مؤدية الى تحري كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو
بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت
الاشارة الى شيئين فصاعدا الى تاويل ما ذكر او ما تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة فيها خطوط من
سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها
وتانيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ان الذين آمنوا بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد صلى الله عليه وسلم
المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة والذين هادوا تهودوا يقال هاد
وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب
يهوذا وكانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب والنصارى جمع نصران كندامى والياء في نصراني للمبالغة
كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها
او من اسمها والصابئين قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة
الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء اما لانه خفف
الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل من آمن بالله واليوم
الآخر وعمل صالحا من كان منهم في دينه قبل ان نسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل

من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في الاسلام دخولا صادقا فلهم اجرهم عند ربهم الذي وعد لهم على ايمانهم
وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت
الثواب ومن مبتدا خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم عند ربهم والفاء لتضمن المسند اليه
معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين
والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى عم والعمل بالتورية ورفعنا فوقكم
الطور حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى عم لما جاءهم بالتورية فراوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم
وابوا قبولها فامر جبرئيل بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة
بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا
المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا
ارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته
بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلعم يدعوكم الى الحق ويهديكم به لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك في
المعاصي او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد
اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدا خبره واجب الحذف لدلالة الكلام
عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت
اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة
فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على ساحل يقال
لها ايلة واذا كان السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه واذا مضى تفرقت فحفروا
حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فذلك قوله فقلنا لهم كونوا
قردة خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم
فتمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد
به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها
اي المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها
لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصصهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم
او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم

وما تاخر منها

وما تاخر منها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا
بقرة اول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلاله
بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه
كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤوا يطالبون بدمه فامرهم الله
ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا امكان هزو او اهله او مهزوا بنا
او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرئ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عنهم
بالضم وقلب الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزء في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن
نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك يبين
لنا ما هي اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقول اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسال به عن الجنس غالبا لكنهم
لما راوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة
لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب
البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اي بين ما ذكر من
الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على
البقرة تدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تاخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة
من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلب مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير
الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الراي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا
لاجزاتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون
اي ما تؤمرونه بمعنى ما تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى مامورکم قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك يؤكد به فيقال
اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تاكيد كانه قيل صفراء
شديد الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله كانه جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك
ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل تعلوه
صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين اي تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب
عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله ان البقر

تشابه علينا اعتذر عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة
البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتأنيث وتشابهت
مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومشتبه ومشتبهة وانا ان شاء الله
لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد
واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر
معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعلق باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة
لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب وسقي الحروث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول
ولا الثانية مزيدة لتأكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كأنه قيل مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي
حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وتسقي من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب
او اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي
في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة
وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ آلان بالمد على الاستفهام والان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام
فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم
او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة
وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى
اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو
الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا
ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت
سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل واذ قتلتم نفسا خطاب
الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم في شأنها فان المتخاصمين يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح
قتلها كل عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج
ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية
فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تأويل الشخص او القتيل ببعضها اي بعض
كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك يحيي الله الموتى يدل

على حذف

على حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حيوة القتيل او نزول الآية ويريكم آياته دلائله على كمال قدرته لعلكم
تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملون على قضيته
ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل و
الشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن
عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد
ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين
زال عنها شره الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة
بها من مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيى حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل
والوهم من التدارؤ والنزاع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة
القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات
فانها مما توجب لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة
او زائد عليها او انها مثلها او مثل اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة
الحسن بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال
المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها وان من
الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية
الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتأثر وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتتفجر
منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد الله به وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل والتفجر
التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة ويلزمها اللام
الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب
وخلف وابوبكر وعمر حماد بالياء ضما الى ما بعده والباقون بالتاء افتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين
ان يؤمنوا لكم ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم
يسمعون كلام الله يعني التورية ثم يحرفونه كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم او تأويله فيفسرونه بما يشتهون و
قيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى عليه السلام بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في
آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اي فهموه بعقولهم

ولم يبق فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة
فما ظنكم بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك وإذا لقوا الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا
آمنا بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في التورية وإذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اي الذين لم ينافقوا منهم
عاتبين على من نافق أتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من نعت محمد صلعم او الذين نافقوا
لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم من ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين
فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ونهي ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا
محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما عند ربكم
او بين يدي رسولكم وقيل عند ربكم في القيمة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعها افلا تعقلون اما من تمام كلام اللائمين و
تقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون
حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم اولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين او كليهما او اياهم و
المحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء
ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون
الكتابة فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها او التورية الا اماني استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل
ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها
تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا
اياما معدودة وقيل الا ما يقرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور
على رسل وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن
بازاء العلم على كل رأي واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة فويل
اي تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوأ فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك
مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله
اراد ما كتبوه من التأويلات الزائغة بايديهم تأكيد كقولك كتبته بيميني ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا
به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم فويل
لهم مما كتبت ايديهم يعني المحرف وويل لهم مما يكسبون يريد الرشى وقالوا لن تمسنا النار المس ايصال
الشيء بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه فلا اجده الا اياما معدودة

محصورة

محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة
آلاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما قل أتخذتم عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون وقرأ ابن
كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن
يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف في خبره محال ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام معادلة لهمزة الاستفهام
بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع بلى اثبات
لما نفوه من مس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم وتختص بجواب
النفي من كسب سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد
بالعرض لانه من الخطأ والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم وأحاطت
به خطيئته اي استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو [illegible]
عنها شيء من جوانبه وهذا انما يصح في شأن الكافر لان غيره ان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه
فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع
عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتأخذ
بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا
لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بآيات الله وقرأ نافع خطيئاته وقرئ خطيته و
خطياته على القلب والادغام فيهما فاولئك اصحاب النار ملازموها في الآخرة كما انهم ملازمون اسبابها في الدنيا
هم فيها خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها والذين
آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه على ان يشفع وعده بوعيده
لترجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون
الا الله اخبار في معنى النهي كقوله لا تضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع
الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون بدلا على ارادة القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا
فلما حذف ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا
له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قال حلفناهم لا تعبدون وقرأ ابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب
بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون
او احسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى ومسكين

ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر أسكنه وقولوا للناس حسنا أي قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرأ
حمزة والكسائي ويعقوب حسنا بفتحتين وهو لغة أهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد فيه تخلق وإرشاد
وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم
في عهد الرسول ومن قبلهم على التغليب أي أعرضتم عن الميثاق ورفضتموه إلا قليلا منكم يريد به من أقام اليهودية
على وجهها قبل النسخ ومن أسلم منهم وأنتم معرضون قوم عادتكم الإعراض عن الوفاء والطاعة وأصل الذهاب
عن المواجهة إلى جهة العرض وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم على نحو ما
سبق والمراد به أن لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والإجلاء عن الوطن وإنما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله
به نسبا أو دينا أو لأنه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم وإخراجكم من دياركم أو لا تفعلوا
ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الأبدية فإنه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فإنه الجلاء
الحقيقي ثم أقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وأنتم تشهدون توكيد كقولك أقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وأنتم
أيها الموجودون تشهدون على إقرار أسلافكم فيكون إسناد الإقرار إليهم مجازا ثم أنتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه
بعد الميثاق والإقرار والشهادة عليه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى أنتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك
أنت ذلك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما أسند إليهم حضورا و
باعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم إما حال والعامل فيها معنى
من الإشارة أو بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء توكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون
على التكثير تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان حال من فاعل تخرجون أو من مفعوله أو كليهما والتظاهر التعاون من
الظهر وقرأ عاصم والكسائي وحمزة بحذف إحدى التائين وقرئ بإظهارها وتظهرون بمعنى تتظهرون وإن يأتوكم أسارى تفادوهم
روي أن قريظة كانوا حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج فإذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب
الديار وإجلاء أهلها وإذا أسر أحد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه إن يأتوكم أسارى
في أيدي الشياطين تتصدون لإنقاذهم بالإرشاد والوعظ مع تضييعكم أنفسكم كقوله أتأمرون الناس بالبر
وتنسون أنفسكم وقرأ حمزة أسرى وهو جمع أسير كجريح وجرحى وأسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو أيضا
جمع أسير وكأنه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم
عليكم إخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشأن أو مبهم
ويفسره

أو مبهم ويفسره إخراجهم أو راجع إلى ما دل عليه تخرجون من المصدر وإخراجهم تأكيد أو بيان أفتؤمنون ببعض الكتاب
يعني الفداء وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة والإجلاء فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحيوة
الدنيا كقتل قريظة وسبيهم وإجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم وأصل الخزي ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل
منهما ويوم القيمة يردون إلى أشد العذاب لأن عصيانهم أشد وما الله بغافل عما تعملون تأكيد للوعيد
أي الله سبحانه بالمرصاد لا يغفل عن أفعالهم وقرأ عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير و
نافع ويعقوب يعملون أن الضمير لمن أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة آثروا الحيوة الدنيا على
الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب في الآخرة ولا هم ينصرون بدفعهما عنهم
ولقد آتينا موسى الكتاب التورية وقفينا من بعده بالرسل أي أرسلنا على أثره الرسل كقوله ثم أرسلنا
رسلنا تترى يقال قفاه إذا اتبعه وقفاه به أتبعه إياه من القفا نحو ذنبه من الذنب وآتينا عيسى ابن مريم
البينات المعجزات الواضحات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات والإنجيل
وعيسى بالعبرية أيشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة قلت
لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل إذ لم يثبت فعيل وأيدناه قويناه وقرئ آيدناه بروح القدس بالروح المقدس كقولك
حاتم الجود ورجل صدق أراد به جبريل وقيل روح عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان أو لكرامته على الله
ولذلك أضافها إلى نفسه أو لأنه لم تضمه الأصلاب ولا الأرحام الطوامث أو الإنجيل أو اسم الله الأعظم الذي
كان يحيي به الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالإسكان في جميع القرآن أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم بما
لا تحب يقال هوى بالكسر هوى إذا أحب وهوى بالفتح هويا بالضم إذا سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت
به توبيخا لهم على تعقيبهم ذلك بهذا وتعجيبا من شأنهم ويحتمل أن يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر استكبرتم
عن الإيمان واتباع الرسل ففريقا تقتلون كزكريا ويحيى وإنما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية
استحضارا لها في النفوس فإن الأمر فظيع أو مراعاة للفواصل أو للدلالة على أنكم بعد فيه فإنكم تحومون حول قتل محمد لولا
أني أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة بأغطية خلقية لا يصل إليها
ما جئت به ولا تفقهه مستعار من الأغلف الذي لم يختن وقيل أصله غلف جمع غلاف فخففت والمعنى أنها أوعية للعلم
لا تسمع علما إلا وعته ولا تعي ما تقول أو نحن مستغنون بما فيها عن غيره بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا والمعنى
أنها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن خذلهم بكفرهم فأبطل استعدادهم أو أنها لم تأب
قبول ما تقوله لخلل فيه لأن الله خذلهم بكفرهم كما قال فأصمهم وأعمى أبصارهم أو هم كفرة ملعونون فمن أين

لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون فإيمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في تقليل وهو
إيمانهم ببعض الكتاب وقيل أراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القرآن مصدق لما معهم
من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا
من قبل يستفتحون على الذين كفروا أي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في
التوراة أو يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والإشعار بأن الفاعل
يسأل ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا أو خوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين
أي عليهم وأتى بالمظهر للدلالة على أنهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد ويجوز أن يكون للجنس ويدخلون فيه دخولا أوليا
لأن الكلام فيهم بئسما اشتروا به أنفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته والمعنى
باعوا أو اشتروا بحسب ظنهم فإنهم ظنوا أنهم خلصوا أنفسهم من العقاب بما فعلوا أن يكفروا بما أنزل الله هو المخصوص
المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون اشتروا للفصل أن ينزل الله لأن ينزل
أي حسدوه على أن ينزل الله وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالتخفيف من فضله يعني الوحي على من
يشاء من عباده على من اختاره للرسالة فباءوا بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو أفضل الخلق وقيل
لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد عيسى أو بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين يراد به إذلالهم بخلاف عذاب العاصي فإنه
طهرة لذنوبه وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله يعم الكتب المنزلة بأسرها قالوا نؤمن بما أنزل علينا أي التوراة و
ويكفرون بما وراءه حال من الضمير في قالوا ووراء في الأصل مصدر جعل ظرفا ويضاف إلى الفاعل فيراد به ما يتوارى به
وهو خلفه وإلى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الأضداد وهو الحق الضمير لما وراءه والمراد به القرآن
مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فإنهم لما كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها قل فلم تقتلون
أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الأنبياء مع ادعاء الإيمان بالتوراة والتوراة لا تسوغه وإنما
وإنما أسنده إليهم لأنه فعل آبائهم وأنهم راضون به عازمون عليه ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الآيات التسع
المذكورة في قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ثم اتخذتم العجل أي إلها من بعده بعد مجيء موسى
أو ذهابه إلى الطور وأنتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته أو بالإخلال بآيات الله واعتراض
بمعنى وأنتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية أيضا لإبطال قولهم نؤمن بما أنزل علينا والتنبيه على أن طريقتهم مع
الرسول طريقة أسلافهم مع موسى عليه السلام لا لتكرير القصة وكذا الآية التي بعدها وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا
فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا أي قلنا لهم خذوا ما أمرتم به في التوراة بجد واسمعوا سماع طاعة

قالوا سمعنا

قالوا سمعنا قولك وعصينا أمرك وأشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم
كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب أعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الإشراب كقوله إنما يأكلون في بطونهم نارا
بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لأنهم كانوا مجسمة أو حلولية ولم يروا جسما أعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم
السامري قل بئسما يأمركم به إيمانكم أي بالتوراة والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الأمر أو ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة
في الآيات الثلاث إلزاما عليهم إن كنتم مؤمنين تقرير للقدح في دعواهم الإيمان بالتوراة وتقديره إن كنتم مؤمنين بها
ما أمركم بهذه القبائح ولا رخص لكم فيها إيمانكم بها أو إن كنتم مؤمنين بها فبئسما أمركم به إيمانكم بها لأن المؤمن ينبغي أن
لا يتعاطى إلا ما يقتضيه إيمانه لكن الإيمان بها لا يأمر به فإذا لستم بمؤمنين قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله
خالصة خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار من دون الناس
سائرهم أو المسلمين واللام للعهد فتمنوا الموت إن كنتم صادقين لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاقها و
وأحب التخلص إليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي الله عنه لا أبالي سقطت على الموت أو سقط الموت علي
وقال عمار بصفين الآن ألاقي الأحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا أفلح من ندم
أي على التمني سيما إذا علم أنها سالمة له لا يشاركه فيها غيره ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم من موجبات النار
كالكفر بمحمد والقرآن وتحريف التوراة ولما كانت اليد العاملة مختصة بالإنسان آلة القدرة بها عامة صنائعه ومنها
أكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة أخرى وهذه الجملة إخبار بالغيب وكان كما أخبر لأنهم لو تمنوا لنقل واشتهر
واشتهر فإن التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو أن يقول ليت لي كذا وإن كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي لو
تمنوا الموت لغص كل إنسان منهم بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الأرض يهودي والله عليم بالظالمين
تهديد لهم وتنبيه على أنهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم أحرص الناس على
حياة من وجد بمعنى علم أجري مجرى علم ومفعولاه هم وأحرص وتنكير حياة لأنه أريد فرد من أفرادها وهي الحياة
المتطاولة وقرئ باللام ومن الذين أشركوا محمول على المعنى فكأنه قال أحرص الناس ومن الذين أشركوا أو
أو أفرادهم بالذكر للمبالغة فإن حرصهم شديد إذ لم يعرفوا إلا الحياة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع
فإنه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بأنهم صائرون إلى النار ويجوز
أن يراد وأحرص من الذين أشركوا فحذف لدلالة الأول عليه وأن يكون خبر مبتدأ محذوف صفته يود
أحدهم على أنه أريد بالذين أشركوا اليهود لأنهم قالوا عزير ابن الله أي ومنهم ناس يود أحدهم وهو على الأول
الأول بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف لو يعمر ألف سنة حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان

اصله لو اعمر فاجرى على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم
وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل
سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة
التبعيد والله بصير بما يعملون فيجازيهم قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بختنصر
فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل
دخل عمر مدارس اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب
وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال
لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما فهو عدو الله ثم رجع فوجد جبريل قد سبقه
بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثمان لغات قرئ بهن اربع في المشهور جبرئيل كسلسبيل قراءة حمزة
والكسائي وجبرئل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم وجبريل كقنديل قراءة الباقون واربع
في الشواذ جبرائل وجبرائيل وجبرال وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله فانه نزله البارز الاول
لجبريل والثاني للقرآن واضماره غير مذكور يدل على فخامة شأنه كأنه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره
على قلبك فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله كأنه قال
قل ما تكلمت به بإذن الله بامره او تيسيره حال من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين احوال
من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه
من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه
او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدوه كما قال من كان
عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته عنادا
او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره الجليل تفخيما لشأنهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافراد
الملكين بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر والتنبيه على ان المعاداة للواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة
من الله تعالى وان من عادى احدهم فكأنه عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت
فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم فان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرأ نافع ميكائل
ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة والفسق اذا
استعمل

استعمل في نوع من المعاصي دل على اعظمه كأنه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء
نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره
اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ
عوهدوا وعهدوا نبذه فريق منهم نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم
لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء
ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب
كتاب الله يعني التوراة لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه نبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين
بالآيات وقيل ما مع الرسول وهو القرآن وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه رأسا بالاعراض عما يرمى
به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كأنهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون
عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني
اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها
وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا
لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم
المتجاهلون واتبعوا ما تتلو الشياطين عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها
او تتبعها الشياطين من الجن او الانس او منهما على ملك سليمان اي عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل
كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس
وفشا ذلك في عهد سليمان حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم وانه تسخر به
الجن عن مس الشيطان او الكرامة على الله تعالى ولذلك اضافها الى نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث
او الانجيل او اسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالاسكان في جميع القرآن
افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوي بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم
اذا سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شأنهم ويحتمل ان
يكون استئنافا والفاء للعطف على مقدر والريح له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر
ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه ولكن الشياطين كفروا باستعماله وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال من الضمير

والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او لانه نوع اقوى منه او على ما تتلوا وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس تمييزا بينه وبين المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او المضمر في انزل والمشهور انه بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كان من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضاري على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ما له في الآخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم يحتمل المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم آمنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا

مثوبة

مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل على اثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني والمثوبة مكسورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم راعنا اي راقبنا وتأن بنا فيما تلقنا حتى نفهمه ونسمع وكان لليهود كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعنا وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به ويحبون ان لا ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته ما ننسخ من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرأ ابن عامر ننسخ من انسخ اي نأمرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننسأها اي نؤخرها من النسء وقرئ ننسها اي ننس احدا اياها وننسها اي انت وتنسها على البناء للمفعول وننسكها باظهار المفعولين نأت بخير منها او مثلها اي

هو خير للعباد في النفع والثواب أو مثلها في الثواب وقرئ أبو عمرو بقلب الهمزة ألفا ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير فيقدر
على النسخ والإتيان بمثل المنسوخ أو بما هو خير منه والآية دلت على جواز النسخ وتأخير الإنزال إذ الأصل اختصاص ذلك وما يتضمنها
بالأمور المحكمة وذلك لأن الأحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله تعالى ورحمة و
ذلك يختلف باختلاف الأعصار والأشخاص كأسباب المعاش فإن النافع في عصر قد يضر في غيره واحتج بها من منع النسخ بلا
بدل أو ببدل أثقل ونسخ الكتاب بالسنة فإن الناسخ هو المأتي به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف إذ قد يكون عدم
الحكم أو الأثقل أصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما أتى به الله تعالى وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة
على حدوث القرآن فإن التغير والتفاوت من لوازمه وأجيب بأنهما من عوارض الأمور المتعلق بها المعنى القائم بالذات القديم
ألم تعلم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو وأمته لقوله وما لكم وإنما أفرده لأنه أعلمهم ومبدأ علمهم أن الله له ملك السموات
والأرض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله إن الله على كل شيء قدير وعلى جواز النسخ ولذلك
ترك العاطف وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وإنما هو الذي يملك أموركم ويجريها على ما يصلحكم
والفرق بين الولي والنصير أن الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون أجنبيا عن المنصور أم تريدون أن تسألوا رسولكم
كما سئل موسى من قبل أم معادلة للهمزة في ألم أي ألم تعلموا أنه مالك الأمور قادر على الأشياء كلها يأمر
وينهى كما أراد أم تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى عليه السلام أو منقطعة والمراد أن يوصيهم
بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت في أهل الكتاب حين سألوا أن ينزل الله
عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومن يتبدل
الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالآيات البينات وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق
المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الإيمان ومعنى الآية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال إلى البعد عن
المقصد وتبديل الكفر بالإيمان وقرئ يبدل من أبدل ود كثير من أهل الكتاب يعني أحبارهم لو يردونكم أي أن يردوكم
لأن لو تنوب عن أن في المعنى دون اللفظ من بعد إيمانكم كفارا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين حسدا علة ود
من عند أنفسهم يجوز أن يتعلق بود أي تمنوا من عند أنفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق أو بحسدا أي حسدا بالغا
منبعثا من أصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة في التوراة فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب
والصفح ترك تثريبه حتى يأتي الله بأمره الذي هو الإذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم أو قتل قريظة وإجلاء بني النضير وعن ابن عباس
أنه منسوخ بآية السيف وفيه نظر إذ الأمر غير مطلق إن الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم وأقيموا الصلاة وآتوا
الزكاة عطف على فاعفوا كأنه أمرهم بالصبر والمخالفة والالتجاء إلى الله بالعبادة والبر وما تقدموا لأنفسكم من خير كصلاة
أو صدقة وقرئ تقدموا من أقدم تجدوه عند الله أي ثوابه إن الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون

وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لأهل الكتاب اليهود والنصارى لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى
لف بين قولي الفريقين كما في قوله وقالوا كونوا هودا أو نصارى ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم المضمر
وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك أمانيهم إشارة إلى الأماني المذكورة وهو أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأن يردوهم
كفارا وأن لا يدخل الجنة غيرهم أو إلى ما في الآية على حذف المضاف أي أمثال تلك الأمنية أمانيهم قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة إن كنتم صادقين في
دعواكم فإن كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلى إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من أسلم وجهه لله أخلص
له نفسه أو قصده وأصله العضو وهو محسن في عمله فله أجره الذي وعد له على عمله عند ربه ثابتا عنده لا يضيع ولا
ينقص والجملة جواب من إن كانت شرطية وخبرها إن كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد
بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز أن يكون من أسلم فاعل فعل محذوف مثل بلى يدخلها من أسلم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست
اليهود على شيء أي أمر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاهم أحبار اليهود
فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس أي قالوا ذلك وهم من أهل العلم و
الكتاب كذلك مثل ذلك القول قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الأصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة
والتشبه بالجهال فإن قيل لم وبخهم وقد صدقوا فإن كلا الدينين بعد النسخ قلت لم يقصدوا ذلك وإنما قصد به
كل فريق إبطال دين الآخر من أصله والكفر بنبيه وكتابه مع أن ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به فالله يحكم
بينهم بين الفريقين يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه
بينهم أن يكذبهم ويدخلهم النار ومن أظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا أو سعى في تعطيل مكان
مرشح للصلاة وإن نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا أهله والمشركين لما منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية أن يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها بالهدم أو التعطيل أولئك
المانعون ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ما كان ينبغي لهم أن يدخلوها إلا بخشية وخشوع فضلا أن يجترئوا
على تخريبها أو ما كان الحق أن يدخلوها إلا خائفين من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا أن يمنعوهم منها أو ما كان لهم في علم الله
تعالى وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد أنجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم
عن تمكينهم من الدخول واختلف الأئمة فيه فجوز أبو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره
لهم في الدنيا خزي قتل وسبي أو ذلة بضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم ولله
المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي الأرض أي له الأرض كلها لا يختص به مكان دون مكان فإن منعتم أن تصلوا

في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا فأينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم
وجه الله اي جهته التي امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل فيه
ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن
ابن عمر رضي الله عنه انها نزلت في صلوة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا
تبينوا خطأهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه
للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قال اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا
العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرأ ابن عامر بغير واو سبحانه
تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت
باقية مادام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا بل له ما في السموات والارض
رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في السموات والارض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح
كل له قانتون منقادون لا يمتنعون عن مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته
لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب
اولي العلم تحقيرا لشأنهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا مطيعون
مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والآية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة اوجه واحتج بها الفقهاء
الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات
والارض مبدعهما ونظيره السميع في قوله ريحانة الداعي السميع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو
حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها
فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع
من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغير وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على
البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله
تعالى وقضى ربك او فعلا كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء
من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال
بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك وقرأ ابن عامر فيكون بفتح النون
واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب

الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه هو الرب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا
ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين
او المتجاهلون من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله او تأتينا آية
حجة على صدقك والاول استكبار والثاني جحود لان يكون ما اتاهم آيات استهانة وعنادا كذلك قال الذين من
قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت
قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين قد بينا الآيات لقوم يوقنون اي
يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات
او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك بالحق متلبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا
فلا عليك ان اصروا او كابروا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرأ نافع ويعقوب
لا تسأل على انه نهي للرسول صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر
عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا
النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم
فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله تعالى عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى
الله هو الهدى اي هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم آراءهم
الزائغة والملة هو ما شرعه الله تعالى لعباده على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته والهوى رأي
يتبع الشهوة بعد الذي جاءك من العلم الوحي او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولي ولا نصير يدفع
عنك عقابه وهو جواب لئن الذين آتيناهم الكتاب يريد مؤمني اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته
بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان
المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر
بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا
تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها
اضاعتها والخوف عن الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة القضية
والمقصود من القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل التكليف بالامر الشاق

من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى الجاهل بالعواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان
تأخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد يطلق على المعاني فلذلك فسرت بالخصال الثلثين المحمودة
المذكورة في قوله التائبون العابدون وقوله ان المسلمين الى آخر الآيتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم
الوارثون كما فسرت بها في قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سننه وبمناسك الحج وبالكوكب و
بالقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه عاملهم بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنه الآيات التي بعدها وقرئ
ابراهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى اجعل هذا البلد امنا ليرى هل يجيبه وقرئ
ابن عامر ابراهام بالالف جميع ما في هذه السورة وفي النساء ثلثة احرف وهي الاخيرة والانعام الحرف الاخيرة وفي
التوبة الحرفان الاخيران وفي ابراهيم حرف وفي النحل حرفان وفي مريم ثلثة احرف وفي العنكبوت الحرف الاخيرة
وفي حم عسق حرف وفي الذاريات حرف وفي النجم حرف وفي الحديد حرف وفي الممتحنة الحرف الاول فذلك
ثلثة وثلثون حرفا وقرئ ابن ذكوان في البقرة خاصة بالوجهين فاتمهن فاداهن كملا وقام بهن حق
القيام بقوله تعالى وابراهيم الذي وفى وفي قراءة الاخيرة الضمير لربه اي اعطاه جميع ما دعاه قال اني جاعلك
للناس اماما استيناف ان اضمرت ناصب اذ كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان
لقوله ابتلى فتكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام ان نصبته بقال فلم
فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له مفعولان والامام اسم لمن يؤتم به وامامته
عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا من ذريته مامورا باتباعه قال ومن ذريتي عطف على الكاف اي
وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب ساكرمك والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها
الثالثة ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعلية منه قلبت الهمزة ياء من الذرء بمعنى الخلق
وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون
من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله تعالى وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة
الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون
والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت اي الكعبة غلب عليها كالنجم على
الثريا مثابة للناس مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار وامثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره
وقرئ مثابات لانه مثابة كل احد وامنا وموضع امن لا يتعرض لاهله لقوله حرما امنا ويتخطف الناس من
حولهم او يأمن حاجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني الملتجئ اليه حتى

يخرج وهو مذهب

يخرج وهو مذهب ابي حنيفة واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض
معطوف على مضمر تقديره ثوبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم وهو امر استحباب ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه
اثر قدمه او الموضع الذي كان فيه الحجر حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم
روي انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى
نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر رضي الله عنه انه لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى
خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم
كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ
الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها وعهدنا
الى ابراهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول
يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه للطائفين حوله والعاكفين المقيمين عنده
والمعتكفين فيه والركع السجود اي المصلين جمع راكع وساجد واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا
يريد البلد او المكان بلدا امنا ذا امن كقوله في عيشة راضية او امنا اهله كقولك ليل نائم وارزق اهله
من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الآخر بدل من اهله بدل البعض للتخصيص قال ومن كفر
عطف على من امن والمعنى وارزق من كفر قاس ابراهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان الرزق
رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدأ تضمن معنى الشرط فامتعه
قليلا خبره والكفر وان لم يكن سببا للتمتيع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل
به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار اي الزه اليه لز المضطر لكفره و
تضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابراهيم
وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة
من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون
العكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب واذ يرفع ابراهيم القواعد من
البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات
ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى
هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها

وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشانها
واسمعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب ربـ
ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا
واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان و
والثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او على ان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة
مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خص الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع
وخص بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على
على الله تعالى فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان تكون من
من للتبيين كقوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف
والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وارنا من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين
مناسكنا متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة
وقرأ ابن كثير والسوسي عن ابي عمرو ويعقوب ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة
الساقطة دليل عليها وقرأ الدوري عن ابي عمرو بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا و
ولعلهما قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم في
الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى
عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم اياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب
القران والحكمة ما يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز
الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابراهيم استبعاد وانكار لان يكون ٩٠
احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب احد عن ملته الا من سفه نفسه الا من استمهنها واذلها و
واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق
الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رايه والم رأسه وقول جرير
ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل
الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن
لمن الصالحين حجة وبيان لذلك لان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيمة

كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب
العالمين ظرف لاصطفيناه وتعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح
المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلائله المؤدية الى
المعرفة الداعية الى الاسلام روي انها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى
مهاجر ووصى بها ابراهيم بنيه التوصية هو التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصل يقال وصاه
اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تأويل الكلمة او
الجملة وقرأ نافع وابن عامر اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم اي وصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على
انه ممن وصاه ابراهيم يا بني على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره رجلان
من ضبة اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا بالكسر وبنو ابراهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية زمران
ونقشان وشبوق وشوح وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويشسوخور وزبولون
ودان ونفتونا وكوذا واشر وبنيامين ويوسف ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام صفوة الاديان لقوله
فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان لا يكونوا
على تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة
على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد روي ان اليهود
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر
يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه
ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين
والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من ١٠٠
بعدي اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل به
عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه
ام طبيب قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده والوهيته
ووجوب عبادته وعد اسمعيل من ابائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه كما قال عليه السلام
في العباس هذا بقية ابائي وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال فلما تبين اصواتنا بكين وفدينا
بالابينا او مفرد وابراهيم وحده عطف بيان الها واحدا بدل من اله ابائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة

وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتأكيد او نصب على الا
الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك امة
قد خلت يعني ابراهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود وسمي بها الجماعة لان الفرق تؤمها لها
ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عم
لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم ولا تسئلون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا
لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير الغائب لاهل الكتاب او للتنويع والمعنى مقالتهم
احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل
ملة ابراهيم اي بل نكون ملة ابراهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابراهيم وقرئ بالرفع
اي ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى انا نحن اهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف
او المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم
فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا امنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فان امنوا بمثل ما امنتم به
وما انزل الينا يعني القرآن قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا سبب للايمان بغيره وما انزل الى ابراهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وان نزلت الى ابراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بها
بتفصيلها داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به
حفدة يعقوب او ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق وما اوتي موسى وعيسى (فرزندزاده) [illegible]
التورية والانجيل افردهما بالذكر بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع
فيهما وما اوتي النبيون جملة المذكورين منهم وغير المذكورين من ربهم منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد
منهم كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي عم فساغ ان يضاف اليه بين ونحن
له اي لله مسلمون مذعنون مخلصون فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز
والتبكيت كقوله تع فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما امن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل
والباء للالة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة الا
المقصد لا يابى تعدد الطرق او مزيدة للتاكيد كقوله جزاء سيئة سيئة بمثلها والمعنى فان امنوا بالله
ايمانا مثل ايمانكم به والمثل مقحم كما في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له قراءة
من قرا بما امنتم به او بالذي امنتم به وان تولوا فانما هم في شقاق اي ان اعرضوا عن الايمان او عما
او عما

او عما يقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الاخر فسيكفيكهم الله
تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصرة على من ناواهم وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه
يسمع اقوالهم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون
وهو معاقبهم عليه صبغة الله اي صبغنا الله صبغة وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة
حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم
ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في
ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله امنا وقيل
على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابراهيم ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون
عابدون تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على امنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول
قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا امنا بدل
اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا اتجادلوننا في الله في شانه واصطفائه نبيا من العرب
دونكم ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا ولو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص
له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه
الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما
افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص وكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله تعالى
في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم ام تقولون ان ابراهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر
وحمزة والكسائي بالتاء يحتمل ان يكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة او ادعاء
اليهودية والنصرانية على الانبياء قل اانتم اعلم ام الله وقد نفى الامرين عن ابراهيم بقوله ما كان ابراهيم يهوديا
ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه وفاقا ومن
اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله لابراهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى — يعني شهادة الله
لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم
شهادة الله تعالى لمحمد صلعم بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم

الجزء الثاني

الجزء الثاني

وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالاباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي الآية لنا تحذير عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء وفي الثاني اسلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس يعني الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل الحال التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك اشارة الى مفهوم الآية المتقدمة اي كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة وسطا اي خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الذي تستوي اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الجمع والواحد والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل اي لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله تعالى ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد ؏ فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد ؏ فيسأل عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول ؏ كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي

الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه ؏ كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تألفا لليهود والصخرة لقول ابن عباس كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا بقبلة آبائه او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى ما كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او ليتميز الثابت من المتزلزل كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التميز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون ان هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او الردة او التحويلة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فتكون كان زائدة الا على الذين هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روي انه ؏ لما توجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة على الفواصل وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص لرؤوف بالمد والباقون بالقصر قد نرى تقلب وجهك في السماء تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله ؏ يقع في روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم ؏ واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسئل فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها ترضاها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله وحكمته فول وجهك اصرف وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء من دار شطور اي منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه ؏ كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان الاستقبال عينها

حج عليه بخلاف القريب وروي انه عم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب
بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل
الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره
خص الرسول عم بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة
وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادة الله تخصيص كل شريعة بقبلة و
تفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او للتوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد
للفريقين ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم ما تبعوا
قبلتك جواب القسم المضمر والقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة وانما خالفوك
مكابرة وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا
الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة في البطلان ومخالفة الحق
وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى
موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض
والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن الظالمين
واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا
لصدور الذنب عن الانبياء الذين آتيناهم الكتاب يعني علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله عم وان لم يسبق
ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القرآن او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول اي يعرفونه باوصافه
باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله عم فقال انا اعلم به
مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد عم انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت وان فريقا منهم
ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن الحق من ربك كلام مستانف والحق
اما مبتدا خبره من ربك واللام فيه للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول عم او الحق الذي يكتمونه او للجنس
والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر
محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن
من الممترين الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول عم عن الشك فيه
لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف
ولكل

الريبة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين
بدل الاضافة هو موليها احد المفعولين محذوف اي هو موليها وجهه او الله تعالى موليها اياه وقرئ ولكل وجهة
بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد جبر الضعف العامل وقرا ابن عامر مولاها
اي هو مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات
من الجهات وهي مسامتة الكعبة اينما تكونوا يات بكم الله جميعا في اي موضع تكونوا من موافق او
مخالف مجتمع الاجزاء او مفترقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال
يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يات بكم الله جميعا ويجعل صلوتكم كانها الى جهة واحدة ان
الله على كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث خرجت اي من اي مكان خرجت
خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا الامر للحق من ربك وما الله
بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلث علل تعظيم الرسول عم بابتغاء مرضاته و
وجري العادة الالهية على ان يولي كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين
على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شان
والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى لئلا يكون للناس
عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت
في التورية قبلته الكعبة وان محمدا عم يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بانه يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته
الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم فانهم
يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة آبائه
آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة واحتجاجا لانهم يسوقونها مساقها وقيل الحجة بمعنى
الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة رأسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول
من قراع الكتائب للعلم بان الخطاب الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استئناف بحرف التنبيه
فلا تخشوهم فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشوني فلا تخالفوا امري ولاتم نعمتي عليكم
ولعلكم تهتدون علة محذوف اي وامرتكم لاتمام النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم او عطف على علة

مقدرة مثل واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي كرم الله
وجهه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم
في امر القبلة او في الآخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني يتلوا عليكم آياتنا
ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدمه هنا باعتبار القصد واخره في دعوة ابراهيم باعتبار الفعل ويعلمكم ما لم
ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على انه جنس آخر فاذكروني بالطاعة
اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين آمنوا
استعينوا بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفس والصلوة التي هي ام العبادة ومعراج المؤمنين ومناجاة رب
العالمين ان الله مع الصابرين بالنصر واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء اي بل هم
احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حيوتهم ليس بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات
وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله يعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم
الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والآية نزلت في شهداء
بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة
وعليه جمهور الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم
بالقرب من الله ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء وتسلمون
للقضاء بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم
ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الآخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه
نفوسهم ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي الخوف خوف الله تعالى والجوع
صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت
الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة
قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في
الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون
الخطاب للرسول عليه السلام او لمن تتاتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه السلام كل شيء يؤذي
المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل به وبالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى
ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ان ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبتدأ
محذوف اي عليهم

محذوف دل عليه اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة
وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة واحسن
عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله تعالى
ان الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج
البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه
ان يطوف بهما كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام
وكسرت الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف
في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس لقوله فلا جناح فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان
نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بالدم وعن مالك
والشافعي انه ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة
فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب
على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرأ حمزة
والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا يخفى عليه ان الذين
يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات والهدى كالآيات الشاهدة على امر محمد عليه السلام والهدى وما يهدي
الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه للناس لخصناه في الكتاب في التورية اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
اي الذين يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب ان
يتاب عنه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة
ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم
المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتب من الكاتمين حتى
مات اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنه من خلقه
وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل
في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعل الفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او
النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشأنها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعنة عليها لا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد خطاب عام

القصد
الحج في اللغة

منكم
اي المستحق للعبادة واحدة لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة
لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها
فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره
وهما خبران آخران لقوله الهكم او المبتدا محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا
فأت باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض وانما جمعت السموات وافرد
الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار تعاقبهما
السموات كقوله جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري بما ينفع الناس اي بنفعهم او بالذي
ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجايبه
ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشاهما البحر في غالب الامر وتانيث الفلك لانه بمعنى السفينة
وقرئ بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وما انزل الله من السماء من ماء من الاولى
للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا به الارض بعد موتها
بالنبات وبث فيها من كل دابة عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث
الحيوانات في الارض او على احيا فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحياء والبث النشر والتفريق و
وتصريف الرياح في مهابها واحوالها وقرئ حمزة والكسائي على الافراد والسحاب المسخر بين السماء والارض
لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى ياتي امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله واشتقاقه
من السحب لان بعضه يجر بعضا لايات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه ع
ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الآيات على وجود الاله ووحدته
من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص
من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا تتحرك السموات او بعضها كالارض وان تتحرك
بعكس حركاتها وبحيث يصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا او على هذا الوجه لبساطتها
وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيته متعاليا عن
معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين
على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع
والتطارد كما اشار اليه بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام
واهله

في البحر

على عجايب

بها

مايقدر عليه

واهله وحث على البحث والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من الروساء
الذين يطيعونهم لقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله يحبونهم
يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة
والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله تعالى
ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة
وصونه عن المعاصي والذين امنوا اشد حبا لله لانه لا ينقطع محبتهم بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض
فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن الصنم الى الله عند الشدائد ويعبدون الصنم
زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب
اذ عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا
ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف اي لو يعلمون ان القدرة لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا
اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع
لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرا ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي ولو
ترى ذلك لرايت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا وان الله شديد
العذاب على الاستيناف او اضمار القول اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرا
المتبوعون من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرا الاتباع من الروساء ورأوا العذاب اي رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل الواو
عطف على تبرا وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف على تبرا او رأوا او الحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي
كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى
به الشجر وقرئ وتقطعت على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم لو للتمني ولذلك
اجيب بالفاء اي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرا منهم كما تبرءوا منا كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم
حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من روية القلب والا فحال وما هم بخارجين من
النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا
يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا
مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في الارض طيبا
يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تقتدوا
المستقيمة

في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة
وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وقلب الواو همزة جعلت ضمة الطاء كأنها عليها وبفتحتين على انه جمع
خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن
يغويه ولذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت انما يأمركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز
عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء والفحشاء
ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه
اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما يتجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني
ما شرع فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه
دليل على المنع من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى مدلول شرعي فوجوبه
قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس
وعدل عن الخطاب معهم للنداء على ضلالهم كأنه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ما
ذا يجيبون قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين امروا باتباع
القرآن وسائر ما انزل الله من الآيات والحجج فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم
رسول الله صلعم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم منا فعلى هذا
فيعم ما انزل الله التورية لانها ايضا تدعو الى الاسلام أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون
الواو للحال او العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف اي لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر
الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما
اتباع الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل
اتباع ما انزل الله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء على حذف مضاف
تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا كمثل البهائم الذي ينعق عليها والمعنى ان الكفرة
لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي
ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع آبائهم
على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام
بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان

لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب صم بكم عمي رفع على الذم فهم لا يعقلون اي
بالفعل للاخلال بالنظر يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح
لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين بان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا
لله على ما احل لكم ورزقكم ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم فان العبادة
لا تتم الا بالشكر فالمعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبي صلعم يقول الله تعالى اني والانس
والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة اكلها والانتفاع بها وهي التي
ماتت من غير ذكاة والحديث الحق بها ما ابين من حي والسمك والجراد اخرجهما العرف عنها واستثنى الشرع عنها
والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ والدم
ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير الله
اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال يقال اهل الهلال واهللته لكن لما جرت العادة
ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رؤي سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار
على مضطر آخر وقرأ عاصم وابو عمرو وحمزة بكسر النون والباقون بالضم ولا عاد سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ
على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد فلا اثم عليه
في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما يفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت
المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كأنه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم
تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك
ما يأكلون في بطونهم الا النار اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنهم اكلوا النار كقوله
اكلت دما ان لم اروعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر يعني الدية او في المآل اي لا يأكلون يوم القيامة الا النار
ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله
يوم القيامة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله تعالى ولا يزكيهم ولا
يثني عليهم ولهم عذاب اليم مؤلم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب
بالمغفرة في الآخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في الالتباس
بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شر أهر ذا ناب او استفهامية
وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب

بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان وان الذين اختلفوا في الكتاب اللام فيه اما للجنس
واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما الى التوراة واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم
في تاويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اي حرفوا ما فيها واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر
واساطير الاولين لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر
كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه
الى قبلته فرد الله تعالى عليهم وقال ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم الذي يحسن ان تذهلوا بشانه عن غيره
امرا وقرأ حمزة وحفص ليس البر بالنصب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين اي
لكن البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من آمن بالله او ولكن ذا البر من آمن ويؤيده قراءة ولكن البار والاول اوفق واحسن
والمراد بالكتاب الجنس او القرآن وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر وآتى المال على حبه اي على حب المال
كما قال عليه السلام لما سئل اي الصدقة افضل قال ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر
والجار والمجرور في موضع الحال ذوي القربى واليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى
لان ايتاءهم اهم لما قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوي رحمك اثنتان صدقة وصلة والمساكين
جمع المسكين وهو الذي اسكنته الخلة واصله دائم السكون كالمسكير لدائم السكر وابن السبيل المسافر سمي به
لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين الذين الجأهم الحاجة
الى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرسه وفي الرقاب وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى
او ابتياع الرقاب لعتقها واقام الصلوة المفروضة وآتى الزكوة يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله آتى المال
الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها وبالثاني اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد
بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت في المال سوى الزكوة وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة والموفون بعهدهم
اذا عاهدوا عطف على آمن والصابرين في البأساء والضراء نصب على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على
سائر الاعمال وعن الازهري البأساء في الاموال كالفقر والضراء في الانفس كالمرض وحين البأس وقت مجاهدة العدو
اولئك الذين صدقوا في الدين واتباع الحق وطلب البر واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر
الرذائل والآية جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلثة اشياء
صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من آمن الى والنبيين والى الثاني بقوله وآتى
المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة الى آخره ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه

واعتقاده

واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه السلام من عمل بهذه الآية فقد
استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان
في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد
والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وامرهم ان يتباوؤا ولا تدل على ان لا
يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم انما يعتبر حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص
الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روي
عن علي ان رجلا قتل عبده فجلده الرسول صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده به وروي عنه انه قال من السنة ان لا يقتل
مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس
على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التوراة فلا ينسخ ما في
القرآن واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق
عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء
للفاعل والقصاص بالنصب وكذا كل فعل جاء في القرآن فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفا
لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء
مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجاني والى الذنب
قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا عدي به الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الآية
كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام
ليرق له ويعطف عليه فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع والمراد به وصية العافي
بان يطالب الدية اخذه بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها باحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه
دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر باداها على مطلق العفو وللشافعي في المسألة قولان
ذلك الحكم المذكور في العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود
القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخيرت هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم
على حسب مراتبهم فمن اعتدى بعد ذلك قتل بعد العفو واخذ الدية فله عذاب اليم في الآخرة وقيل في الدنيا
بان يقتل لا محالة لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذ الدية ولكم في القصاص حيوة كلام في غاية الفصاحة
والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس

يتباوؤا

والنفس

فلا يعنف

من قتلكم نوع من الحياة عظيم وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حياة نفسين ولانهم كانوا يقتلون
غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحياتهم وعلى الاول فيه اضمار
وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحياة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الآخرة ولكم في القصاص
يحتمل ان يكونا خبرين لحياة وان يكون احدهما خبرا والآخر صلة له او حالا من الضمير المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما
قص عليكم من حكم القتل حياة او في القرآن حياة للقلوب يا اولي الالباب ذوي العقول الكاملة ناداهم للتأمل في حكمة القصاص
من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان
له او عن القصاص فتكفوا عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر اماراته ان ترك
خيرا اي مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي ان مولى له اراد ان يوصي فمنعه وقال كم مالك فقال ثلثة آلاف فقال كم عيالك
قال اربعة قال انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والا
قربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تأويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن
بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار
الفاء كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم
في بدء الاسلام فنسخ باية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث
وفيه نظر لان آية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من
الآحاد وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله
من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله تعالى عليهم
بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله
غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وصل اليه وتحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء
المغير او التبديل الا على مبدليه لانهم الذين خانوا وخالفوا الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل بغير حق فمن
خاف من موص توقع وعلم من قولهم اخاف ان يرسل السماء وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر موص جنفا
ميلا بالخطاء في الوصية او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع فلا اثم عليه
في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى الحق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة
ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم به يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعني
الانبياء والامم من لدن آدم وفيه توكيد للحكم وترغيب في الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الا
الامساك

الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون المعاصي
فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او الاخلال باداءه لاصالته وقدمه
اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس
بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه
ونسخ به وهو عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر او بكما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم
على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام لما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد وحر
شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم
مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر
فعدة من ايام اخر فعليه صوم عدة ايام المرض او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف
اليه والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه
ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام ان افطروا
فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز
رخص لهم في ذلك اول الامر لما امروا بالصوم واشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ
نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وقرأ هشام مساكين بغير اضافة
الفدية الى الطعام وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه
اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويتطيقونه على ان اصلهما يتطوقونه ويتطيوقونه من فيعل
وتفيعل بمعنى يتطوقونه وعلى هذه القراءة يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم
الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم و
طاقتهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو فالتطوع او الخير خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم
طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية وتطوع الخير او منهما ومن التأخير
التأخير للقضاء ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله
اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير لكم من ذلك شهر رمضان
مبتدأ خبره ما بعده او خبر محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم
الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف او بدل

معدودات ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علماً ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون
كما منع داية في ابن داية علما للغراب للعلمية والتانيث وقوله عم من صام رمضان ايماناً واحتساباً فله الجنة
على حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض
الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حينما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القرآن
اي ابتداء فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض
وانزل في شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي عم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان
وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدأ
او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب
اختصاصه بوجوب الصوم فيه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن اي انزل وهو
هداية للناس باعجازه وآيات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم
والاحكام فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل
والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف
الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد هلال الشهر فليصمه على
انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلاتها فيكون ومن كان منكم مريضا او على سفر فعدة
من ايام أخر مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم نسخه
كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اي يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك
اباح الفطر للسفر والمرض ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل
محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة
عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى آخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدد
ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او الافعال كل لفعله
او معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا ويجوز ان يعطف على
اليسر اي ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفؤوا والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه
ولذلك عدي بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما تحتمل المصدر والخبر اي الذي
هداكم اليه وعن عاصم ولتكملوا بالتشديد واذا سألك عبادي عني فاني قريب اي فقل لهم اني قريب

وبينات

مخصصاله

وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي ان اعرابياً قال
لرسول الله عم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب و
وعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجبتهم اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر
بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين
وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير عقبه بهذه الآية
الدالة على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تأكيداً له وحثاً عليه ثم بين احكام الصوم
فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا احل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان
يصلوا العشاء او يرقدوا وان عمر باشر بعد العشاء فندم واتى النبي عم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما
صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائماً والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو
من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره هنا لتقبيح ما ارتكبوه و
ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث هن لباس لكم وانتم لباس لهن استئناف يبين سبب الاحلال
وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل
كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباساً او لان كلا
منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها
من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم
ومحا عنكم اثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة
الزاق البشرة بالبشرة كني به عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره لكم واثبته في اللوح من الولد وا
والمعنى ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل
النهي عن العزل وقيل عن غير المأتي والتقدير وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين
لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما
يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك
وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روي انها
نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون يأكلون ويشربون حتى

تبيينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز واكتفى اولا باشتهارهما
في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح
الى الصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان آخر وقته واخراج الليل عنه فينفي صوم الوصال ولا تباشروهن
وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة
الوطء وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك و
فيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطء يحرم فيه
ويفسده لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها
نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا ان يتخطى كما قال عم ان لكل ملك
حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز
ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله آياته للناس لعلهم
يتقون مخالفة الاوامر والنواهي ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي ولا ياكل بعضكم مال البعض
بالوجه الذي لم يبحه الله وبين نصب على الظرف او الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي
او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال
الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون
فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض
ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلعم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ رسول الله صلعم ان الذين يشترون
بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهي دليل على ان حكم
القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عم للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن
بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من نار
يسألونك عن الاهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم
يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ قل هي مواقيت للناس والحج انهم سألوا عن الحكمة
في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله تعالى ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون معالم
الناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات المؤقتة يعرف بها اوقاتها وخصوصا

الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان
مدة مقوتة فالوقت الزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة
والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى قرأ ابو عمرو وورش
وحفص بضم الباء والباقون بالكسر وقرأ ابن عامر ونافع بتخفيف لكن ورفع البر كانت الانصار اذا احرموا
لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك
برا فبين لهم انه ليس ببر يعتد به وانما البر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا
عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم سألوا عما
لا يعنونه ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنونه ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب
ما سألوا تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان المراد به التنبيه على
تعكيسهم السؤال وتمثيلهم بحال من ترك باب البيت ودخل من وراءه والمعنى وليس البر ان تعكسوا
في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجتر على مثله واتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول بر فباشروا
الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا
بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك
قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال و
يتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء او الكفرة كلهم فانهم بصدد
قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله صلعم عام الحديبية وصالحوه على ان
يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم
والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد او المفاجاة به من غير دعوة
او المثلة او قتل من نهيتم عن قتله ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم
حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما كان او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة
ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم
اي من مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان
كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم
اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال

وهتك حرمة المسجد الحرام فإن قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثمة فإنهم الذين هتكوا الحرمة وقرئ حمزة
والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو أسد كذلك جزاء
الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فإن انتهوا عن القتال والكفر فإن الله غفور رحيم يغفر
لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب
فإن انتهوا عن الشرك فلا عدوان إلا على الظالمين أي فلا تعتدوا على المنتهين إذ لا يحسن أن يظلم إلا من
ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه أو أنكم إن
تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الأمر عليكم والفاء الأولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر
الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا أن
يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه
أي كل حرمة وهو ما يجب أن يحافظ عليها يجري فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله
وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم إن قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو
فذلكة التقرير واتقوا الله في الانتصار فلا تعتدوا إلى ما لم يرخص لكم واعلموا أن الله مع المتقين فيحرسهم
ويصلح شأنهم وأنفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الإمساك ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة
بالإسراف وتضييع وجه المعاش أو بالكف عن الغزو والإنفاق فيه فإن ذلك يقوي العدو ويسلطهم
عليكم ويؤيده ما روي عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال لما أعز الله الإسلام وكثر أهله رجعنا إلى أهالينا
وأموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت أو بالإمساك وحب المال فإنه يؤدي إلى الهلاك المؤبد ولذلك سمي
البخل هلاكا وهو في الأصل انتهاء الشيء في الفساد والإلقاء طرح الشيء وعدي بإلى لتضمنه
معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالأيدي الأنفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة
كالتضرة والتسرة أي لا توقعوا أنفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بأيديكم ولا تلقوا
بأيديكم أنفسكم إليها فحذف المفعول وأحسنوا أعمالكم وأخلاقكم أو تفضلوا على المحاويج إن الله
يحب المحسنين وأتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله تعالى وهو على هذا يدل
على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ وأقيموا الحج والعمرة وما روى جابر رضي الله عنه أنه قيل يا رسول الله العمرة
واجبة مثل الحج فقال لا ولكن أن تعتمر خير لك معارض بما روي أن رجلا قال لعمر إني وجدت الحج والعمرة
مكتوبين علي أهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال إنه فسر وجدتهما مكتوبين بقوله
أهللت

أهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك لا يقال إنه فسر وجدتهما مكتوبين بقوله أهللت
فجاز أن يكون الوجوب بسبب إهلاله بهما لأنه رتب الإهلال على الوجدان وذلك يدل على أنه سبب الإهلال
دون العكس وقيل إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك أو أن تفرد لكل منهما سفرا أو أن تجرده لهما
لا تشوبهما بغرض دنيوي أو أن تكون النفقة حلالا فإن أحصرتم منعتم يقال حصره العدو وأحصره إذا
حبسه ومنعه عن المضي مثل صده وأصده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي لقوله فإذا أمنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن
عباس لا حصر إلا حصر العدو وكل منع من عدو أو مرض أو غيرهما عند أبي حنيفة لما روي عنه عليه السلام من كسر أو عرج فعليه
الحج من قابل وهو ضعيف مؤول بما إذا شرط الإحلال به لقوله لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي
حيث حبستني فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر أو فالواجب ما استيسر أو فأهدوا ما استيسر والمعنى إن أحصر المحرم
وأراد أن يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة أو بقرة أو شاة حيث أحصر عند الأكثر لأنه عليه السلام ذبح عام
الحديبية بها وهي من الحل وعند أبي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم أمارة فإذا جاء اليوم وظن
أنه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله أي لا تحلوا حتى تعلموا أن الهدي المبعوث
إلى الحرم بلغ محله أي مكانه الذي يجب أن ينحر فيه وحمل الأولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه
فيه حلا كان أو حرما واقتصاره على الهدي دليل على عدم القضاء وقال أبو حنيفة يجب القضاء والمحل
بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي جمع مطية
فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه إلى الحلق أو به أذى من رأسه كجراحة أو قمل ففدية فعليه فدية إن حلق
من صيام أو صدقة أو نسك بيان لجنس الفدية وأما قدرها فقد روي أنه عليه السلام قال لكعب بن عجرة لعلك
آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة أيام أو تصدق بفرق على ستة مساكين أو
انسك شاة والفرق ثلاثة آصع فإذا أمنتم الإحصار أو كنتم في حال أمن وسعة فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فمن
استمتع وانتفع بالتقرب إلى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في أشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل
من عمرته باستباحة محظورات الإحرام إلى أن يحرم بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره بسبب
التمتع فهو دم جبران يذبحه إذا أحرم بالحج ولا يأكل منه وقال أبو حنيفة إنه دم نسك فهو كالأضحية
فمن لم يجد أي الهدي فصيام ثلاثة أيام في الحج في أيام الاشتغال به بعد الإحرام وقبل التحلل وقال أبو حنيفة
في أشهره بين الإحرامين والأحب أن يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وأيام
التشريق عند الأكثر وسبعة إذا رجعتم إلى أهليكم وهو أحد قولي الشافعي أو نفرتم وفرغتم من أعماله

قوله الثلث ومذهب ابي حنيفة وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم
متوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم
يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة هو العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة
في المحافظة على العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به تنتهي الآحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها
من الهدي ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة اذ لا متعة ولا قران لحاضري المسجد
الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم
على مسافة القصر عندنا فان من كان على اقل فهو مقيم الحرم او في حكمه ومن كان مسكنه وراء الميقات عنده
واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج
واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته كقولك البرد
شهران معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي
حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما
لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام
به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض الشهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع
على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا او بالتلبية او سوق الهدي
عند ابي حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث
فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق لا خروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات
ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفى الثلثة على قصد النهي للمبالغة والدلالة على
انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة
والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو
عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف
في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا
بان يقفوا ايضا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر
ليستبدل به ويستعمل مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل
نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس

فاتزودوا

فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية
اللب خشية الله تعالى وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله تعالى فيتبرأ عن كل شيء
سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح
ان تبتغوا في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ
ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا
منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف
المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتانيث لان تنوين
الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف
وههنا ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تانيث وانما هي
مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها
كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه او لان جبرئيل عليه السلام
كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او لان آدم وحواء التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات
للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون
الا بعده وهي مأمور بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة للذكر المأمور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب بل الامر به غير مطلق
فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى
قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه لما صلى الفجر بمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى
اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام
لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم
كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله اي الهدى
لمن الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا
كقوله تعالى وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا
يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين
كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ
الناس بالكسر اي الناسي يريد آدم من قوله فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله

من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم فاذا
قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا كما تفعلون بذكر آبائكم في المفاخرة
وكانت العرب اذا قضوا مناسككم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم
او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم او كذكر اشد منه — ذاكر رشد
وابلغ او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل المذكور
بمعنى او كذكركم اشد مذكورا من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لآبائكم فمن الناس
من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد به الحث
على الاكثار والارشاد اليه ربنا آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق اي نصيب
وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف
وتوفيق الخير وفي الآخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالمغفرة والعفو وقول علي رضي الله عنه الحسنة
في الدنيا المراة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امراة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا والعبادة
وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار امثلة للمراد بها او
اولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا اي من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله مما
خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب
كاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيامة فبادروا الطاعات واكتساب
الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات كبروه في ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام
التشريق فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق
بعد رمي الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن تاخر فلا اثم عليه ومن تاخر في النفر
حتى رمى في اليوم الثالث بعد الزوال وابو حنيفة يجوز تقديمه على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجيل والتاخير
التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتاخر لمن اتقى اي الذي ذكر من
التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله
في مجامع اموركم ليعبا بكم واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق
ومن الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض الانسان لجهله بسبب المتعجب منه
في الحياة الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها مراده

من ادعاء المحبة

من ادعاء المحبة واظهار الايمان او يعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الآخرة
لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على
ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو الد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان
يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن
المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى ادبر وانصرف
عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس
بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى
يمنع الله بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا
قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من
قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وهو في الاصل
مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل
ما يوطا للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها ببذلها في الجهاد او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل
ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه قيل انها نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال
اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه واتى المدينة
والله رءوف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشرا وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها
الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالفتح والكسر الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه
ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق حال من الضمير او السلم لانها
تؤنث كالحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع والمعنى استسلموا لله واطيعوه
واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب
لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرائع الله كلها بالايمان
بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء والخطاب
للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرقة والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم
عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله
عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جاء

بعده الآن يأتيهم الله او يأتيهم امره وبأسه كقوله او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا او يأتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به للدلالة
بقوله ان الله عزيز في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما
يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب
فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره او الآتون على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر
عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن
وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي على البناء
للفاعل بالتأنيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول سل بني اسرائيل امر للرسول
او لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة او آية في الكتب شاهدة على الحق
والصواب على ايدي الانبياء وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على
حذف العائد الى المبتدأ ومن آية مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله آياته فانها سبب الهدى الذي هو اجل
النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتأويل الزائغ من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه
وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فان الله
شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا حسنت
في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من
شيء فيها الا وهو فاعله ويدل عليه قرئ زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلقه الله
تعالى فيها من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا يريد فقراء المؤمنين
كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزئون بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم
جعلوا السخرية مبتدأة منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم
في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد
قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين
بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على
الحق فيما بين آدم وادريس او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفرة في فترة ادريس او نوح فبعث
فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين اي فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن
كعب الذي علمته من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القرآن

باسم العلم

٦٣

باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس لا يريد انه انزل بالحق شاهدا به ليحكم بين
الناس اي الله او النبي المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما
اختلف فيه في الحق او في الكتاب الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما
ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا
فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه
بامره او بارادته ولطفه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفهم
وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما يأتكم ولم يأتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعلت مقابل
قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم البأساء والضراء بيان له على الاستئناف
وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه لتناهي الشدة
واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرئ يقول بالرفع على انها حكاية ماضية كقولك مرض حتى لا
يرجونه متى نصر الله استبطاء له لتأخره الا ان نصر الله قريب استئناف على ارادة القول اي فقيل لهم ذلك الى
طلبهم من عاجل النصر وفيه ان الوصول الى الله تعالى والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة
الشدائد والرياضات كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسألونك ماذا ينفقون عن ابن عباس ان
عمرو بن الجموح الانصاري كان هما ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت قل ما انفقتم
من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم
فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان في سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما
تضمنه قوله ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير في معنى الشرط فان الله به عليم جوابه اي ان تفعلوا خيرا فان الله
يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم
مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف
او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان
تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا
وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما ذكر عسى لان
النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع

المصالح الراجحة وان تعزى عنها يسئلونك عن الشهر الحرام روى انه عم بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في
جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا
العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام
شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله
العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله عم الغنيمة وهو اول غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه
في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال بتكرير العامل قل
قتال فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو
نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الآية على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا فان قتال فيه نكرة في حيز
المثبت فلا يعم وصد صرف ومنع عن سبيل الله اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات وكفر به اي
بالله والمسجد الحرام على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام كقول ابي داود اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا
ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة
ولا على الهاء في به فان العطف على الصلة ولا على الها في به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار واخراج
اهله منه اهل المسجد وهم النبي عم والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء
الاربعة المعدودة من كبائر قريش وافعل يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اكبر
من القتل اي ما يرتكبونه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوا من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم حتى
يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم و
حتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول
الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت
وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها في احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعي والمراد به
الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهو لغة فيه في الدنيا لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد
الدنيوية والآخرة بسقوط الثواب واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين آمنوا
نزلت ايضا في السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله
كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كانه مستقل في تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمة الله ثوابه اثبت
لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوا

خطأ وقلة الاحتياط رحيم باجزال الاجر والثواب يسئلونك عن الخمر والميسر روى انه نزلت بمكة قوله ومن ثمرات
النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا في نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله
في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا
فسكروا فام احدهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن
مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه
انصاري بلحي بعير فشجه فشكا الى رسول الله عم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر
الخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره
اي يحجزه وهو حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب
ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره
والمعنى يسئلونك عن تعاطيهما قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير من حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن المأمور وارتكاب
المحظور وقرئ كثير بالثاء المثلثة ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان
وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد التي
تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت
تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر ويسئلونك ماذا ينفقون قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سأل اولا عن المنفق
والمصرف ثم سأل عن كيفية الانفاق قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة العفو وهو ان ينفق
ما تيسر بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي وروي ان رجلا اتى النبي عم ببيضة من ذهب اصابها
في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفها حذفا لو اصابه
لشجه او عقره ثم قال يأتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى وقرأ ابو
عمرو برفع الواو كذلك يبين الله لكم الآيات اي مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف
في موضع النصب صفة لمصدر محذوف اي تبيينا مثل التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب به جمع على تأويل القبيل والجمع
لعلكم تتفكرون في الدلائل والاحكام في الدنيا والآخرة في امور الدارين فتأخذون بالاصلح والانفع وتجتنبون
عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسئلونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين يأكلون اموال
اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله عم فنزلت قل
اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم او اصلاح اموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم
على المعنى لطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم

المفسد من المصلح وعد ووعيد لمن خالطهم لافساد واصلاح اي يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم
اي لو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر
على الاعنات حكيم يحكم ما يقتضيه الحكمة ويتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي لا تتزوجوهن وقرئ بالضم
اي ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه تعالى عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
الكتاب روي انه عليه السلام بعث مرثدا الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية
فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة اي ولامراة مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عبيد الله تعالى واماؤه
ولو اعجبتكم بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم
المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهي عن مواصلتهم و
ترغيب في مواصلة المؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون الى النار اي
الكفر المؤدي الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم والله اي واولياؤه يعني المؤمنين حذف المضاف واقام
المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم يدعو الى الجنة والمغفرة اي الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الا
الاحقاء بالمواصلة باذنه بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين آياته للناس لعلهم
يتذكرون لكي يتذكروا او يكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من الميل الى الخير ومخالفة
الهوى ويسئلونك عن المحيض روي ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها كفعل اليهود
والمجوس واستمر ذلك الى ان سئل ابو الدحداح في نفر من الصحابة رضي الله عنهم عن ذلك والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت
ولعله سبحانه انما ذكر يسئلونك بغير واو ثلاثا لان السؤالات الاول كانت في اوقات متفرقة والثلثة الاخيرة
في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اي الحيض مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه فاعتزلوا
النساء في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم
باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعوهن
ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن حتى
يطهرن تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي
وعاصم في رواية ابن عياش يطهرن اي يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما فاذا تطهرن فاتوهن فانه يقتضي

تأخير جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة رضي الله عنه ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله اي المأتى
الذي امركم الله به وحلله لكم ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار
فاتوا حرثكم اي فاتوهن كما تاتون المحارث وهو كالبيان لقوله فاتوهن من حيث امركم الله انى شئتم من اي جهة
شئتم روي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امراته من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا
لانفسكم ما يدخر لكم من الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه
واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين الكاملين في الايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول
ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت
في الصديق لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة رضي الله عنها او في عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه
بشير بن نعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة يطلق لما يعرض دون الشيء
وللمعرض للامر ومعنى الآية على الاول ولا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان
الامور المحلوف عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات بالذي هو خير وكفر عن يمينك وان
وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان يكون للتعليل و
يتعلقان بالفعل او بعرضة اي ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضا لايمانكم
لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهي اي انهاكم
عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا
ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط
الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان وتكلم به جاهلا بمعناه كقول العرب
لا والله وبلى والله لمجرد التاكيد بقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم بعقوبة ولا كفارة بما
لا قصد معه ولكن يؤاخذكم الله بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطات فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو
حنيفة رضي الله عنه اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطاتم فيه من الايمان ولكن
يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها والله غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد
تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن
لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن تربص اربعة اشهر مبتدا ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف
ما سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب

نفس ذلك الطلاق ولذلك قال فإن عزموا الطلاق فإن الإيلاء أكثر من أربعة أشهر ويؤيده فإن فاؤا رجعوا في اليمين
بالحنث فإن الله غفور رحيم للمولي إثم حنثه إذا كفر أو ما توخى بالإيلاء من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التي
هي كالتوبة وإن عزموا الطلاق وإن صمموا قصده فإن الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال أبو حنيفة
الإيلاء أربعة أشهر فما دونها وحكمه أن المولي إن فاء في المدة بالوطء إن قدر والوعد إن عجز صح الفيء ولزم
الواطئ أن يكفر وإلا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة بأحد الأمرين فإن أبى عنهما طلق عليه الحاكم
والمطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الأقراء لما دلت الآيات والأخبار أن حكم غيرهن خلاف ما ذكر
يتربصن خبر بمعنى الأمر وتغيير العبارة للتأكيد والإشعار بأنه مما يجب أن يسارع إلى امتثاله وكأن المخاطب
قصد أن يمتثل الأمر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدأ يزيده فضل تأكيد بأنفسهن
تهييج وبعث لهن على التربص فإن نفوس النساء طوامح إلى الرجال فأمرن بأن يقمعنها ويحملنها على التربص
ثلاثة قروء نصب على الظرف أو المفعول به أي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق على الحيض لقوله عليه السلام
دعي الصلاة أيام أقرائك وللطهر الفاصل بين الحيضتين كقول الأعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا وأصله
الانتقال من الطهر إلى الحيض وهو المراد به في الآية لأنه الدال على براءة الرحم كما قالت الحنفية لقوله تعالى
فطلقوهن لعدتهن أي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في الحيض وأما قوله عليه السلام طلاق الأمة تطليقتان
وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر
ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء وكان
القياس أن يذكر بصيغة القلة التي هي الأقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان
الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الأقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها ولا يحل لهن أن يكتمن
ما خلق الله في أرحامهن من الولد والحيض استعجالا في العدة وإبطالا لحق الرجعة وفيه دليل على أن قولها
مقبول في ذلك إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر ليس المراد منه تقييد نفي الحل بإيمانهن بل التنبيه
على أنه ينافي الإيمان وأن المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له أن يفعل وبعولتهن أي أزواج المطلقات أحق
بردهن إلى النكاح والرجعة إليهن ولكن إذا كان الطلاق رجعيا للآية التي تتلوها فالضمير أخص من المرجوع
إليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤولة أو
مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به أو أقيم مقام المضاف المحذوف أي وأهل بعولتهن وأفعل
ههنا بمعنى الفاعل في ذلك أي في زمان التربص إن أرادوا إصلاحا بالرجعة لا إضرار المرأة وليس المراد
منه شرطية

منه شرطية قصد الإصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف أي
ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس وللرجال عليهن
درجة زيادة في الحق وفضل فيه لأن حقوقهم في أنفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها أو
شرف وفضيلة لأنهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن في غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والإنفاق
والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الأحكام حكيم يشرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان أي التطليق
الرجعي اثنتان لما روي أنه عليه السلام سئل أين الثالثة فقال عليه السلام أو تسريح بإحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة
على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة فإمساك بمعروف بالمراجعة عقيب حسن المعاشرة
وهو يؤيد المعنى الأول أو تسريح بإحسان بالطلقة الثالثة أو بأن لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الأخير حكم مبتدأ
وتخيير مطلق عقيب تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا أي من الصدقات روي أن جميلة
أخت عبد الله بن أبي ابن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فأتت رسول الله فقالت لا أنا ولا ثابت لا يجمع
رأسي ورأسه شيء والله ما أعيبه في دين ولا خلق ولكني أكره الكفر في الإسلام ما أطيقه بغضا إني رفعت جانب الخباء
فرأيته أقبل في عدة فإذا هو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة أصدقها والخطاب
مع الحكام وإسناد الأخذ والإيتاء إليهم لأنهم الآمرون بهما عند الترافع وقيل إنه خطاب للأزواج وما بعده خطاب
الحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة إلا أن يخافا أي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن
ألا يقيما حدود الله بترك إقامة أحكامه من مواجب الزوجية وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وإبدال
أن بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا فإن خفتم أيها الحكام ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت
به على الرجل في أخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة في إعطائه تلك حدود الله إشارة إلى ما حد من الأحكام
فلا تعتدوها فلا تعتدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد
في التهديد واعلم أن ظاهر الآية يدل على أن الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج إليها فضلا عن
الزائد ويؤيد ذلك قوله عليه السلام أيما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة
وما روي أنه عليه السلام قال لجميلة أتردين عليه حديقته فقالت أردها وأزيد عليها فقال عليه السلام أما الزائد فلا والجمهور استكرهوه
ولكن نفذوه فإن المنع عن العقد لا يدل على فساده وأنه يصح بلفظ المفاداة فإنه تعالى سماه افتداء واختلف في أنه إذا
جرى بغير لفظ الطلاق فسخ أو طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فإن طلقها فإن تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين
الطلقتين يقتضي أن يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والأظهر أنه طلاق لأنه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق

كما الطلاق بالبونين وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع
دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد ذلك
من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق
بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روي ان امراة رفاعة قالت
لرسول الله صلعم طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله
اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالآية قيدتها السنة
ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع
الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو
حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلعم المحلل والمحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان
يتراجعا ان يرجع كل من المراة والزوج الاول الى الآخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان
كان في ظنهما انهما يقيمان ما حدده الله تعالى وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب
الامور غيب تظن ولا تعلم ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك
حدود الله اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء
فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي ينتهي به قال كل
حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه على الاتساع
وهو المراد في الآية ليصح ان يرتب عليه فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ الامساك بعد
الانقضاء لا يجوز والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو اعادة للحكم في بعض
صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى
تشارف الاجل ثم يراجعها ليطول العدة عليها فنهى عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او
الحال بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده
ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوا بالاعراض عنها و
التهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه نهي عن الهزء واراد به الامر بضده وقيل
كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه صلعم ثلث جدهن جد وهزلهن
جد الطلاق والنكاح والرجعة والعتق واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية و
ونعمته

ونعمته محمد صلعم بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما
يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم تاكيدا وتهديدا واذا طلقتم النساء فبلغن
فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن الشافعي دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن
ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جملاء ان ترجع الى
زوجها الاول بالاستيناف فيكون دليلا على ان المراة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا
يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد
مضي العدة ولا يتركوهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم والمعنى
لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق
ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت بيضها فلم تخرج اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن
او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع ويستحسنه المروة حال من الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف
اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفو غير منهي ذلك اشارة الى ما مضى ذكره
والخطاب للجميع على تاويل القبيل او كل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون
تعيين المخاطبين او للرسول صلعم على طريقة قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار
اليه امر لا يكاد يتصوره كل واحد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر لانه المتعظ به
والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر من دنس الآثام والله يعلم ما فيه من النفع
والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه
الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار و
والوالدات يعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة
الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام
الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على
ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى المولود له اي الذي يولد له
يعني الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤن
المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي ومنعه ابو
حنيفة ما دامت الزوجة او معتدة نكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس

إلا وسعها تعليل لإيجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك
لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب اي لا يكلف كل منهما الا
الآخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا عن لا
يكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه
الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اي لا تضر الوالدات بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما
ينبغي وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره
واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه
والاشفاق عليه فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك
عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو
الصبي اي يمون المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث منا
وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى
وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب
على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اي فصالا صادرا عن التراضي
منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة استخراج الرأي من شرت العسل اذا
استخرجته فلا جناح عليهما في ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم
احدهما على ما يضر به لغرض او غيره وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي تسترضعوا المراضع
اولادكم يقال ارضعت المرأة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول
للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع للولد ويمنع الزوجة من
الارضاع اذا سلمتم ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرأ ابن كثير ما اتيتم
من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اي ما آتاكم الله تعالى واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم
اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز
الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة في المحافظة على ما شرع في
امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي وازواج الذين او والذين يتوفون
منكم ويذرون

منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم
وتأنيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير في مثله قط ذهابا الى الايام
حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير
ان الجنين في غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين
وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي
المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعي والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى
تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن
علي ابن ابي طالب وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت
عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة والمسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب
وسائر ما حرم عليهن للعدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم
ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به
من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم
عليك والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف
والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المرأة والمراد بالنساء المعتدات
للوفاة وتعريض خطبتها ان تقول لها انك جميلة او نافقة ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم في انفسكم او
اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت
عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن
ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن في السر على النكاح بالمواعدة نكاحا وجماعا عبر بالسر عن
الوطء لانه مما يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن في السر على ان المعنى بالمواعدة في السر المواعدة
بما يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اي لا تواعدوهن
مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه
الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان
كانت معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة
في النهي عن العقد اي ولا تعزموا عقد النكاح فان اصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب

من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم
يفعله خشية من الله تعالى حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق
قبل المسيس وقيل كان النبي عم يكثر النهي عن الطلاق فظن فيه حرجا فنفي ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن وقرء
حمزة والكسائي تماسوهن بضم التاء ومد الميم في جميع القرآن اي تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى
تفرضوا او وتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب مفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ
من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى لانه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير
ممسوسة ولم يسم لها مهر اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمي لها فلها
نصف المسمى فمنطوق الآية ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخيرتين
ومتعوهن عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق
وتقديرها مفوض الى رأي الحاكم ويؤيده قوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي على كل من الذي له سعة والمقتر
الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه عم للانصاري طلق امراته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك
وقال ابو حنيفة هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها عن ذلك فلها النصف من المثل
ومفهوم الآية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي في احد قوليه الممسوسة
المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرء حمزة والكسائي وابن ذكوان بفتح الدال متاعا تمتيعا بالمعروف
بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون
الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا
وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم فلكم
المفوضة ابتعه حكم فيهما اي فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفي ثمة تبعة
المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون اي المطلقات فلا يأخذن شيئا والصيغة تحتمل التذكير
والتانيث والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير ولذلك لم يؤثر
فيه ان هنا ونصب المعطوف عليه او يعفو الذي بيده عقدة النكاح اي الزوج المالك لعقد النكاح وحله عما
يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه
ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المراة صغيرة وهو
قول قديم للشافعي وان تعفوا اقرب للتقوى يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على الوجه الاول ظاهر وعلى الوجه

٦٩

الآخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج
فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة
وطلقها قبل الدخول فاكمل الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم
على بعض ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها
ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها والصلوة الوسطى اي الوسطى
بينها او الفضلى منها خصوصا وهي صلوة العصر لقوله عم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة
الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة
الظهر لانها في وسط النهار وكان اشق الصلوة عليهم فكانت افضل لقوله عم افضل العبادات احمزها وقيل
الفجر لانها بين صلاتي النهار والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسط بالعدد
ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين في طرفي الليل وعن عائشة رضي الله عنها انه عم كان
يقرء والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرء
بالنصب على الاختصاص وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين و
وقال المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او راكبين
ورجال جمع راجل او رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي
وقال ابو حنيفة لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف فاذا امنتم وزال الخوف فاذكروا الله صلوا صلوة
الامن او اشكروه على الامن كما علمكم ذكر امتنان ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلوة حالتي الخوف والامن
او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم قرأ بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير وصية
اي وحكمهم وصية او والذين يتوفون اهل وصية او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرء متاع بدلها
متاعا الى الحول نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرأه لانه بمعنى التمتيع غير
اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا
بالسكنى والنفقة وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله تعالى اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان
متقدما في التلاوة فهو متاخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة
عندنا خلافا لابي حنيفة فان خرجن من منزل الازواج فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في

الفسخ كالتطيب وترك الحداد من معروف مما لا ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج
والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم
راعى مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعدما اوجبها لواحدة منهن
وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره
بما يعم التمتع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتأكيد او لتكرر
القصة كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدد يبين الله لكم آياته وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل
والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها وتستعملون العقل فيها الم تر تعجيب الى الذين
خرجوا من ديارهم يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا
ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله تعالى وقدره او قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت
فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف اي الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل
جمع الف او آلف كقاعد وقعود والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اي قال لهم موتوا
فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله ومشيئته وقيل ناداهم
به ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا ثم احياهم قيل مر حزقيل على اهل داوردان وقد
عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى الله اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله تعالى فنادى
فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفائدة القصة تشجيع المؤمنين
على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم
ليعتبروا ويفوزوا او قص عليكم حالهم ليستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز
ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار من الموت غير مخلص
وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم
ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه وهو
من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفة او بدل له
واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه قرضا حسنا اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او
مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على
صورة المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى

ايقرض الله احد وقرأ ابن كثير فيضعفه بالرفع والتشديد وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة لا يقدرها الا الله وقيل
الواحد بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر
على ان الضعف اسم مصدر وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسب ما اقتضته حكمته
فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم وقرأ نافع والكسائي والبزي وابو بكر بالصاد ومثله في الاعراف
قوله تعالى في الخلق بسطة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملأ من بني اسرائيل الملأ جماعة
يجتمعون للتشاور لا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اي من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي
لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اقم لنا اميرا ننتهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رأيه
وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على
الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى
اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على المتوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا وقرأ
نافع عسيتم بكسر السين قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي اي غرض لنا
في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت
ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا
اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلثمائة
وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم وهو يوشع او
شمعون او اشمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف
يدفعه منع صرفه روي ان نبيهم لما دعا الله ان يملكهم اتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت
قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال
والحال انا احق منه بالملك وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا
او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة في اولاد لاوي بن يعقوب والملك في اولاد
يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من
يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله
وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور والسياسة وجسامة
البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله

فيهما وكان الرجل القائم بعده فيه فينال رائحته وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه
واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه
سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب لانه لا يزال يرجع
اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق ومن قرأه بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التانيث
لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق التورية وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في
ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اي في اتيانه سكون لكم وطمأنينة او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه
وهو التورية وكان موسى عم اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد
او ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا
ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم عم الى محمد عم وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه
العلم والاخلاص واتيانه تصيير القلب مقر العلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون
رضاض الالواح وعصا موسى عم وثيابه وعمامة هرون وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما او
او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله بعد موسى عم فنزلت به الملائكة وهم ينظرون
اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت
الى ان ملك طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فتشأموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقهما
الملائكة الى طالوت ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي عم وان يكون
ابتداء خطاب من الله فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه
ولكن لما كثر حذف المفعول صار كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه
مما اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسألوا ان يجري الله لهم نهرا قال ان الله
مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه فليس مني فليس من اشياعي او ليس بمتحد معي
ومن لم يطعمه فانه مني اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا او مشروبا قال ان شئت لم اطعم
نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي ان كان ملكا كما زعم الا من
اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم والصابئون
على الخبر في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير وقرأ ابن عامر والكوفيون بضم
الغين فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بوسط وتعميم الاول

ليتصل الاستثناء

ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا وقرئ بالرفع حملا على المعنى فشربوا منه ان لا يكون فانه في قوله
فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل ثلثة آلاف وقيل الفا وروي
ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي
وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه اي القليل الذين لم
يخالفوه قالوا اي بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله
اي الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله وقيل
هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخزلين عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل وكانهم
تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم يحتمل الاستفهام
والخبر ومن مزيدة او مبينة والفئة الفرقة من الناس من فاوت رأسه اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها فعة
او فلة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده اي ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا
ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجأوا الى الله بالدعاء وفيه ترتيب
بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر
على العدو المرتب عليهما غالبا فهزموهم باذن الله فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم وقتل
داود جالوت قيل كان ايشى في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى
الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمه في الطريق ثلثة احجار وقالت
وقالت له انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته وآتاه الله الملك
اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير
والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ولولا انه يدفع
بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بفسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض او لفسدت الارض
بشؤمهم وقرأ نافع هنا وفي الحج دفاع الله تلك آيات الله اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك
طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه المطابق الذي
لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل
اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها في السورة او المعلومة للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم
على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفصيل له وهو موسى عم وقيل ومحمد ص كلم الله موسى ليلة الحيرة
وفي الطور ومحمدا ص ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله
بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان فضله

الجزء الثالث

على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فانه خصه بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات
المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام
لتفخيم شانه كانه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين وقيل ابراهيم عليه السلام خصه الله تعالى
بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس عليه السلام لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل اولو العزم من الرسل وآتينا
عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى
في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره
ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات
المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه
التزام دين الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرر للتاكيد ولكن الله
يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه
يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل والحوادث بيد الله تابعة لمشيئته خيرا
كان او شرا ايمانا او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم اي ما اوجب عليكم انفاقه من قبل ان ياتي يوم
لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع
فيه فتحصلون ما تنفقون او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحكم ولا شفاعة الا لمن
اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلاثتها مع قصد
التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون
هم الظالمون يريد والتاركون للزكاة هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه
فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان ومن لم يحج وايذانا بان ترك الزكاة من صفات
الكفار كقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة الله لا اله الا هو مبتدا وخبره والمعنى انه المستحق
للعبادة لا غيره وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر
وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه
فيعول من قام بالامر اذا حفظه لا تاخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن
الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال تعرض للحيوان من
استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس

راسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه وتاكيد لكونه حيا قيوما
فان من اخذه نعاس او نوم كان مؤوف الحياة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجملة التي
بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد
فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له السموات والارض وما فيهن من ذا الذي
يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة و
استكانة فضلا ان يعاوقه عنادا او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك
مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الآخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما
يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء ولا
يحيطون بشيء من علمه من معلوماته وسع كرسيه السموات والارض الا بما شاء ان يعلموا وعطفه
على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض تصوير
لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا
كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من كرسي العالم او الملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك
سمي كرسيا محيطا بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة
وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل
اسم لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرسي وهو الملبد ولا يؤوده ولا يثقله
ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج حفظهما اي حفظه السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول
وهو العلي المتعالي عن الانداد والاشباه العظيم المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الآية مشتملة على
امهات المسائل الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالوهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته
موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرا عن التغير والفتور لا يناسب
الاشياء ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي
لا يشفع عنده الا من اذن له العالم بالاشياء كلها جليلها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة

١

كل ما يصح ان يعلم ويقدر عليه ولا يؤوده شاق ولا يشغله شأن متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه
السلام ان اعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك
الساعة وقال من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا
الصديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله لا اكراه في الدين
اذ لا اكراه في الحقيقة اكراه الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن قد تبين الرشد من الغي تميز الايمان من
الكفر بالآيات الواضحة ودلت الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة
السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء
وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص
وخاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله
لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان والاصنام او كل ما عبد من دون الله
او صد عن عبادة الله تعالى فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل فقد استمسك بالعروة
بالعروة الوثقى طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة لتمسك المحق من النظر الصحيح والرأي
القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته والله سميع بالاقوال عليم بالنيات ولعله
تهديد على النفاق الله ولي الذين آمنوا محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن
يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر الى النور
النور الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من الموصول او منهما او استئناف
مبين او مقرر للولاية والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد
والانهماك في الشهوات او من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام
واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار السبب لا يأبى تعلق قدرته تعالى وارادته به اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه
تعجيب من محاجة نمرود وحماقته ان آتاه الله الملك لان آتاه اي ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج
لاجله شكرا له على طريقة العكس كقولك عاداني لاني احسنت اليه او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة
على من منع

يخرجونهم من النور الى الظلمات اي من الهدى او الفطرة ...

٧٣

على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل من آتاه الله على الوجه الثاني
ربي الذي يحيي ويميت يخلق الحيوة والموت في الاجساد وقرئ حمزة رب بحذف الياء قال انا احيي
واميت بالعفو عن القتل والقتل قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب
اعرض ابراهيم عليه السلام عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه
دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان
بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابراهيم
بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه
اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه وحاجه فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتا
وقرئ فبهت اي فغلب ابراهيم الكافر والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالا
بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيمة
او كالذي مر على قرية تقديره او ارأيت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه
لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة و
وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج
او كالذي مر وقيل انه من كلام ابراهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي فاحي كاحياء الله
الذي مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر عليهما السلام او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت
المقدس حين خربه بختنصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع
وهي خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال اني يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا
بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا
واني في محل النصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا مائة
عام او اماته فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله تعالى وساغ ان يكلمه
وان كان كافرا لانه آمن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبي قال لبثت يوما او بعض يوم

كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما
ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك
وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة
هاء وهاء السكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحمأ المسنون فابدلت النون الثالثة حرف
علة كتقضى البازي وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تينا او عنبا
وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله وقرأ حمزة والكسائي لم يتسن بغير الهاء في الوصل وانظر الى حمارك
كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام
والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده ولنجعلك آية للناس اي فعلنا ذلك
لنجعلك آية روي انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرأ التوراة من الحفظ ولم يحفظها
احد قبله فعرفوه بذلك قالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخ فاذا
حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعني عظام الحمار او الاموات الذين
تعجبت من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها او نرفع بعضها الى بعض ونركبه عليه وكيف
منصوب بننشزها والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب
ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى انشر ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل
مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف
الاول لدلالة الثاني عليه او ما قبله اي فلما تبين له ما اشكل عليه وقرأ حمزة والكسائي قال اعلم على الامر والآمر
مخاطبه او هو نفسه خاطبها به على طريقة التبكيت واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى انما سأل
ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيي واميت قال ان احياء الله برد الروح الى بدنها
فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه ليطمئن قلبه
على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم تؤمن بانى قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال له
ذلك وقد علم انه اعرق الناس في الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه قال بلى ليطمئن قلبي

بلى امنت

بلى آمنت ولكن سألت لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال قال
فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى
ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما يتأتى باماتة حب الشهوات والزخارف الذي هو صفة الطاوس والصولة
المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى
الموسوم بها الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به
او جمع كصحب فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك لتتأملها وتعرف شأنها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء
وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير
الجيد وحف كأنه على الليت قنوان الكرم الدوالح وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء
من صره يصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي ثم جزئهن
وفرق اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة وقرأ ابو بكر جزءا بضم الزاء
حيث وقع ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا ساعيات طيرانا او مشيا وروي انه
امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن
ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة
الى ان من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض
حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل او الشرع وكفى لك شاهدا على
فضل ابراهيم ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه تعالى اراه ما اراد ذو حكمة بالغة في كل ما
يفعله ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم
كمثل باذر حبة على حذف مضاف انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة
لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله والمعنى انه يخرج منها
ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون
في الذرة والدخن وفي البر في الاراضي المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله وعلى
حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجل ذلك تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق

عليه ما يتفضل به من الزيادة عليهم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى نزلت في عثمان فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها
واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبي صلعم باربعة آلاف درهم صدقة والمن ان يعتد
باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق
وترك المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء
فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا
قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل الحاجة او نيل المغفرة من الله بالرد الجميل او عفو
عن السائل بان يعذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها
بالصفة والله غني عن انفاق بمن وايذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة يا ايها الذين
آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء
الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر كابطال المنافق الذي يرائي بانفاقه لا يريد به رضاء الله ولا ثواب
الآخرة او مماثلين الذي ينفق رئاء الناس فالكاف في محل النصب على المصدر او الحال ورئاء نصب على المفعول
له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اي انفاقا رئاء فمثله فمثل المرائي في انفاقه كمثل صفوان كمثل حجر املس عليه
تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما
كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لان المراد به
الجنس او الجمع كما في قوله ان الذي حانت بفلج دماؤهم والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد
وفيه تعريض بان الرئاء والمن والاذى على الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنها
ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم على
المال فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها
او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من اصل انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق
تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاء كمثل بستان بموضع
مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر
وثلثتها لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون

بالسكون

بالسكون للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج
الواحد في قوله من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اي مضاعفا فان لم يصبها
وابل فطل اي فيصيبها او فالذي يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها
وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت
باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم
الكثيرة والقليلة الزائدتين في زلفاهم بالوابل والطل والله بما تعملون بصير تحذير عن الرئاء
وترغيب في الاخلاص ايود احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري
من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة منهما مع ما فيها تغليبا لهما لشرفهما وكثرة
منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد
بالثمرات المنافع واصابه الكبر اي كبر السن فان الفاقة والعالة في الشيخوخة اصعب والواو للحال او
للعطف حملا على المعنى وكأنه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء
صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف على اصابه او تكون
باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى
تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء في الحسرة والاسف اذا كان
يوم القيمة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شأنه واشبههم به من جال
بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت
الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون
اي تتفكرون فيها فتعتبرون بها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده
ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمرات والمعادن فحذف المضاف
لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه ولا تقصدوا الردي منه اي من المال او مما اخرجنا وتخصيصه بذلك
لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا تأمموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا
ويجوز ان يتعلق به منه ويكون الضمير للخبيث والجملة حال منه ولستم بآخذيه اي وحالكم انكم
لا تأخذونه في حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا مجازا من اغمض بصره اذا غضه وقرئ
تغمضوا اي تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره

فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يأمركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق والوعد في الاصل شايع في الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله يعدكم مغفرة منه في الانفاق مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا او في الآخرة والله واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول الثاني ومن يؤت الحكمة بناء للمفعول لانه المقصود وقرئ يعقوب بالكسر اي ومن يؤته الله فقد اوتي خيرا كثيرا اي خير كثير اذ حيز له خير الدارين وما يذكر وما يتعظ بما قص من الآيات او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله في قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذو العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية في حق او باطل او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط في طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذر من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرأ ابو عمرو وابو بكر وقالون بكسر النون وسكون العين وروي عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو اقيس وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اي تعطوها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فان الابداء في الفرض لغيره افضل لنفي التهمة عن ابن عباس صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم قرأه ابن عامر وعاصم في رواية ابن عباس ويعقوب بالياء مرفوعا على انه جملة فعلية مبتدأة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اي ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزة والكسائي به مجزوما على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث ولكن الله يهدي من يشاء صريح بان الهداية من الله وبمشيئته فانها تخص بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال وكانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا ابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اي فليس نفقتكم الا ابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تاكيد للشرطية السابقة او ما يخلف للمنفق استجابة لقوله عليه السلام اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوا فنزلت وهذا في غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقراء متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقراء واجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول او لكل احد لا يسألون الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق وخصوصا على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر الصديق تصدق باربعين الف دينار عشرة في الليل وعشرة في النهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي عليه السلام لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم

سنن ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف
والخبر محذوف اى ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية الذين ياكلون الربوا اى
الآخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال لان الربوا شائع فى المطعومات وهو زيادة فى
الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او بنقد الى اجل او فى العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه
وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون
اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام المصروع وهو
وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء
من المس اى الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجنى يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل
الرجل وهو متعلق بلا يقومون اى لا يقومون من المس الذى بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او
بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلاف عقلهم ولكن لان الله اربا فى بطونهم
ما اكلوا من الربوا فاثقلهم ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اى ذلك العقاب بسبب انهم نظموا
الربوا والبيع فى سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل
البيع ولكن عكس للمبالغة وكانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى
درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوى درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة
اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال
للقياس لمعارضة النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر كالنهى
على الربوا فانتهى فاتعظ وتبع النهى فله ما سلف تقدم اخذه قبل التحريم ولا يسترد منه وما
فى موضع الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على راى سيبويه اذ الظرف
غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق
النية وقيل يحكم فى شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذى
يدخل فيه ويربى الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه السلام ان الله
يقبل الصدقة فيربيها كما يربى احدكم مهره وعنه عليه السلام ما نقصت زكوة من مال قط
والله لا يحب لا يرتضى ولا يحب محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك فى

فى ارتكابه

فى ارتكابه ان الذين آمنوا بالله ورسله وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا
الزكوة عطفهما على ما يعمهما لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من آت
ولا هم يحزنون على فائت يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا اتركوا بقايا ما شرطتم
على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به روى انه كان لثقيف مال
على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله
اى فاعلموا بها من اذن بالشئ اذا علم وقرأ حمزة وعاصم فى رواية ابن عياش فآذنوا اى فاعلموا بها
غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضى ان يقاتل المربى بعد الا
الاستتابة حتى يفئ الى امر الله كالباغى ولا يقتضى كفره روى انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدى لنا بحرب الله ورسوله
وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان
ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم وهو سديد على ما قلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله فيء
وان كان ذو عسرة وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او
فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهى الانظار وقرئ فناظره على الخبر اى فالمستحق ناظره بمعنى منتظره او صاحب
نظرة على طريق النسب وعلى الامر اى فسامحه بالنظرة الى ميسرة يسار وقرأ نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان
كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين الى الهاء بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذى وعدوا
وان تصدقوا بالابراء وقرأ عاصم بتخفيف الصاد خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او مما تاخذون لمضاعفة ثوابه
ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم
صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيمة
او يوم الموت فتاهبوا لمصيركم اليه وقرأ ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت
من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب عن ابن عباس انها آخر آية نزل بها
جبرئيل وقال ضعها فى رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله بعدها احدا وعشرين يوما وقيل
احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين اذا
داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او آخذا وفائدة ذكر الدين ان لا
يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع
ضمير فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق

وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح
السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين
باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب
ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه من كتبة الوثائق ولا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها
كقوله واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تأكيدا
ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي
عليه الحق وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله
ربه اي المملي او الكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من الحق او مما املى عليه فان كان الذي عليه
الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او
غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم
مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان
النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا
ان تشهدوا على الدين شاهدين من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود
والشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض
فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهدوا او فالمستشهد رجل
وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون من
الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى علة اعتبار العدد اي لاجل
ان احداهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير لكن لما كان
الضلال سببا له نزل منزلته كقوله اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وكانه قيل ارادة ان تذكر
احداهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط
فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء
الشهادة او التحمل وسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه
ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى به عن الكسل لانه صفة

المنافق

لعلمكم

المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا
كان الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه
اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان
من اقسط واقام على غير قياس او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت
في التعجب لجموده وادنى ان لا ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله والشهود
ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها استثناء عن
الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد
الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على
انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا
اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا ورفعها الباقون على انها الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة
واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التي في هذه الآية للاستحباب عند
اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد
يحتمل البنائين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف
والتغيير في الكتابة والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى
الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كانت وان تفعلوا الضرار وما نهيتم عنه فانه فسوق بكم
خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم
والله بكل شيء عليم كرر لفظة الله في الجمل الثلاث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية
وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشأنه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر اي مسافرين
ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذي يستوثق به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان فليس هذا التعليق
لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لانه عليه السلام رهن درعه في المدينة من يهودي
بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثق بالكتب في السفر الذي
هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما
جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين

بعض المديون واستغنى بامانته عن الارتهان فليؤد الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة لايتمانه
عليه بترك الارتهان به وقرئ الذي ايتمن بقلب الهمزة ياء والذيتمن بادغام الياء في التاء وهو خطأ
لان المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا تدغم وليتق الله ربه في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ولا
تكتموا الشهادة ايها الشهود او المديون والشهادة شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه آثم
قلبه اي يأثم قلبه او آثم قلبه والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره
العين زانية والاذن زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن
الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون
عليم تهديد لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم او
تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم وهو
حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو
صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستئناف وجزمهما الباقون عطفا
على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا منه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله متى تأتنا تلمم
بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا يدغم الا في مثله والله
على كل شئ قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة امن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من
الله على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه والمؤمنون كل امن بالله و
ملائكته وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه
التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنون او يجعل مبتدا فيكون الضمير للمؤمنين باعتباره يصح وقوع كل بخبره
خبر مبتدا ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر و
استدلال وقرأ حمزة والكسائي وكتابه يعني القرآن او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في
وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله اي
يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله
وكل اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك
دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك

ربنا اغفر

اغفرانك ربنا اغفر غفرانك او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار
منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون
مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها كقوله يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع
التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع
بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه
اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه وكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا لا
تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطأ من تفريط وقلة
مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدي
الى الهلاك وان كان خطأ فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن عزيمة
لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا
بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطأ والنسيان ربنا
ولا تحمل علينا اصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه اي يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة
وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا
او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة للاصر والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل النفس وقطع التوبة
قطع موضع النجاسة وخمسين صلوة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم
من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف
التي لا تفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص
عنه والتشديد هاهنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا وامح ذنوبنا
واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا
مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به
عامة الكفرة روي انه عليه السلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له فعلت وعنه عليه السلام انزل
آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة
اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة
كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها

البقرة كما قال عليه السلام السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة
وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة سورة آل عمران مدنية وآيها
مائتان بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهور
وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت
للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور
في باب الوقف ولذلك لم تحرك في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين و
وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم روي انه عليه السلام قال
ان اسم الله الاعظم في ثلاث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لا اله
الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القرآن نجوما بالحق
بالعدل او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه عند الله تعالى وهو في موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب
الكتب وانزل التوراة والانجيل جملة على موسى وعيسى عليهما السلام واشتقاقهما من الوري والنجل
ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من
ابنية العرب وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان والكسائي التورية بالامالة في جميع القرآن ونافع وحمزة
بين اللفظين الا قالون فانه يقرأ بالفتح كقراءة الباقين من قبل من قبل تنزيل القرآن هدى للناس
على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس
الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة ليعم ما عداها
من الصحف كأنه قال وانزل سائر ما يفرق به بين الحق والباطل او الزبور او القرآن وكرر ذكره
بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه
معجز يفرق به بين المحق والمبطل والمعجزات ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة
وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام
لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد

التوحيد والاشارة

التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله
لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا
فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود
المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف
يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق
الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما
يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج
على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه نزلت السورة من
اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك
الكتاب منه آيات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاجمال هن ام الكتاب اصله يرد
اليها غيرها والقياس امهات فافرد على تاويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة واخر متشابهات
محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد
حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب
القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما قوله الر كتاب
احكمت آياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه
انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف
معدول عن الآخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف ولانه في معنى
المعرف او عن آخر من فاما الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه
منه فيتعلقون بظاهره او بتاويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك
والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تاويله وطلب ان يأولوه على ما يشتهونه
ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل واحدة منهما على التعاقب والاول يناسب
المعاند والثاني يلائم الجاهل وما يعلم تاويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم

اى الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الله الا فسر المتشابه بما استاثر الله تعالى بعلمه كمدة بقاء
الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير
مراد ولم يدل على ما هو المراد يقولون آمنا به استيناف موضح لحال الراسخين او حال منهم
او خبر ان جعلته مبتدأ كل من عند ربنا اى كل من المتشابه والمحكم من عنده وما يذكر الا اولو
الالباب مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى
تأويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث انها فى تصوير الروح بالعلم و
وتربيته وما قبلها فى تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته
القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو اباه واجيب
بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره فى الرحم والمصور لا يكون
اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استيناف والمعنى لا تزغ قلوبنا
عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال عليه السلم قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع
الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلاء تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ
هديتنا الى الحق والايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ فى موضع الجر باضافته اليه وقيل انه
بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على
الحق او مغفرة للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤال وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله
وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم الجزاء
انه لا ريب فيه فى وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلب
ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه وللاشعار
به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم
العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا عام فى الكفرة و
وقيل المراد وفد نجران او اليهود او مشركو العرب لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله
من الله شيئا اى من رحمته او طاعته على معنى البدلية او من عذابه واولئك هم وقود النار

حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كداب آل فرعون متصل بما قبله اى لن تغنى عنهم كما لم تغن عن
اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او استيناف مرفوع المحل وتقديره داب هؤلاء كداب
فى الكفر والعذاب وهو مصدر دأب فى العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشان والذين من قبلهم
عطف على آل فرعون وقيل استيناف كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار
قد او استيناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدأت بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل
للمواخذة وزيادة تخويف الكفرة قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اى قل لمشركى
مكة ستغلبون يعنى يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه السلام جمعهم بعد بدر فى سوق قينقاع فحذرهم
ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس
فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم
وهو من دلائل النبوة وقرئ حمزة والكسائى بالياء فيهما على ان الامر بان يحكى لهم ما اخبره به من وعيدهم
بلفظه وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استيناف وتقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم
قد كان لكم آية الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين فى فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل
فى سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المؤمنين مثلى عدد المشركين وكانوا
قريبا من الف او مثلى عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قللهم فى اعينهم
حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا فى اعينهم حتى غلبوا مددا من الله
تعالى للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلى المؤمنين وكانوا ثلثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا
بالنصر الذى وعدهم الله تعالى فى قوله وان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة
نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اى يريهم او يريكم ذلك بقدرته وقرئ فئة بالجر
على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا رأى العين رؤية ظاهرة
معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان فى ذلك اى فى التقليل والتكثير او غلبة
القليل عديم العدة على الكثير الشاكى السلاح وكون الواقعة آية ايضا يحتملهما ويحتمل وقوع الامر على
ما اخبر به الرسول صلى الله عليه وآله لعبرة لاولى الابصار لعظة لذوى البصائر وقيل لمن ابصرهم زين

قينقاع بطن من اليهود بالمدينة اضيف اليهم السوق وهو مثلث النون والضم اشهر
الاغمار جمع غمر بالضم وهو الجاهل الغر الذى لم يجرب الامور

نسخة

للناس حب الشهوات اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا في محبتها
حتى احبوا شهوتها كقوله احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله
زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله تعالى او لانه
من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية في معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح
والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة و
والانعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل
ملء مسك ثور واختلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة ماخوذة منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة
والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام
الابل والبقر والغنم ذلك متاع الحيوة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن المآب
اي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية
قل اؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله تعالى خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا
عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير ويجوز
ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة
مما يستقذر من النساء ورضوان من الله قراءة عاصم في رواية ابي بكر بضم الراء
وهما لغتان والله بصير بالعباد اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين
اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الآية على مراتب نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها
رضوان الله لقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر
لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على
مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة والاستعداد لها الصابرين والصادقين والقانتين
والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان معاملته مع الله
تعالى اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملها
واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال
وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فبالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها

وتوسيط

وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها و
وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروح
والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله
انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها والملائكة
بالاقرار واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد
قائما بالقسط مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله تعالى وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء
زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او من هو والعامل
معنى الجملة اي تفرد قائما او احقه لانه حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو
ههنا مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا من الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو
او الخبر المحذوف لا اله الا هو كرره للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة
الحجة وليبنى عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته
على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه عليه
السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى
بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ان الدين عند الله
الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله تعالى سوى الاسلام وهو التوحيد
والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وقرئ بالفتح على انه بدل الكل ان فسر الاسلام
بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع
الفعل على الثاني واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف
الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام فقال
قوم انه حق وقال قوم مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا او في التوحيد فثلثت النصارى
وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في
امر عيسى الا من بعد ما جاءهم العلم اي بعد ما علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج

بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر ومن يكفر بايات الله فان الله سريع
الحساب وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك في الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج فقل اسلمت
وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج
ودعي اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى
والحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب و
والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب ءاسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم
بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة فان اسلموا فقد
فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال وان تولوا فانما عليك البلاغ اي فلم
يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين
يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من
الناس فبشرهم بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولوهم الانبياء ومتا
ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله
في سورة البقرة وقرئ حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت
ولعل ولذلك قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة كقولك زيد فانهم
فافهم رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما وما لهم من ناصرين يدفعون عنهم
العذاب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التورية او جنس الكتب السماوية
ومن للتبعيض او للبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم
الداعي محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وكتاب الله تعالى القرآن او التورية لما روي انه عليه السلام
دخل مدارسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت فقال عليه السلام
على دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فابيا
نزلت وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه
دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع
علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من

فريق ذلك

من فريق وانما ساغ لتخصصه بالصفة ذلك اشارة الى التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا
النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع
الفارغ وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل او ان آباءهم
الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا
اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا
اياما روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفر راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس
الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا
لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي
بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض
عن يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخول يا عليه مع لام التعريف وقطع
همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته
مالك الملك تتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه فان
عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منه ما تشاء وتسترد
وتسترد فالملك الاول عام والآخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها
من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا او الآخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق
والخذلان بيدك الخير انك على كل شيء قدير ذكر الخير وحده لانه المقتضى بالذات والشر مقتضى بالعرض
اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب في الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ
اذ روي انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه
صخرة عظيمة لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره فجاء فاخذ المعول
فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر
وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال
اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء و
واخبرني جبرئيل عليه ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم

ومداين

الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومداين كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق
من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شيء قدير تولج النهار في الليل
وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك
ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر
على ذالك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول في مضيق وايلاج
الليل والنهار ادخال احدهما في الآخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحي من الميت
وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها او انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه
وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقرئ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت
بالتخفيف لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية
ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية
من دون المؤمنين اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة
الكفرة ومن يفعل ذالك اى اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء من ولايته في شيء يصح ان يسمى
ولاية فان موالاة المتعاديين لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك
بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدى
بمن لانه في معنى تحذروا وتخافوا من جهتهم وقرئ يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا في
الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة ح جايز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش
وامش جانبا ويحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه
وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي عنه في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه فلا
يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله اى انه يعلم ضمائركم من ولاية
ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات وما في الارض فيعلم سركم وعلنكم والله
على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه
فكانه قال يحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي يحيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم
المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب

يوم

بها تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا اليوم
منصوب بتود اى تتمنى كل نفس يوم تجد صحايف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها
وبين ذالك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت من سوء او خبر لما عملت من سوء
وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا يكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان يكون
شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كائن واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره
للتوكيد والتذكير والله رؤف بالعباد اشارة الى انه تع انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم
لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عذابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربه اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس
الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك
يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع
الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اى يرض عنكم ويكشف الحجب عن
قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على
طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن يتحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روى انها نزلت
لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل
في اقوام زعموا على عهده عم انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا الله
والرسول فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين
لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل ولا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان
التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله تع وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ان الله
اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين بالرسالة والخصايص الروحانية والفضايل
الجسمانية ولذالك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله
عقب ذالك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم اسمعيل واسحق
واولادهما وقد دخل فيهم رسول الله عليه وآله وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن

لاوي بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن ابيعزار بن ابي يود بن زربابل بن
بابل بن شاليان بن يوحنا بن اوشا بن اموص بن ميشك بن حازقيا بن احاز بن يوثام ابن عزاريا بن يورام
بن ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشا بن عوبد بن سلمون بن
باعز بن نحشون بن عميناذب بن رام بن حصروم بن فارض بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين
الف وثمانمائة سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الآلين او منهما
ومن نوح اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية
الولد تقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء
وادغمت والله سميع باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول
امرأة عمران عليم بنيتها اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني فينتصب به اذ وقيل
نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى ع وكانت لعمران بن يصهر بنت
اسمها مريم اكبر من موسى وهرون فظن ان المراد زوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان
معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى ابني خالة من الاب روي انها كانت
عاقرا عجوزا فبينا هي في ظل شجرة اذا رات طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت
اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك
عمران وكان هذا النذر مشروعا في عهدهم في الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا
محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشيء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل مني ما نذرته
انك انت السميع العليم لقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها
انثى الضمير لما في بطنها وتانيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان
تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تاويل مؤنث كالنفس
والحبلة وانما قالته تحسرا او تحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت
تحريره والله اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي وضعت وهو استيناف من الله تعالى تعظيما لمو
ضوعها وتجهيلا لها بشانها وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على انه من كلامها
تسلية لنفسها اي ولعل لله تعالى فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرئ وضعت على انه خطاب الله تعالى لها
وليس الذكر كالانثى بيان لقوله والله اعلم اي وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت واللام
فيهما للعهد

فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فتكون اللام للجنس واني
سميتها مريم عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا
لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان
الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة واني اعيذها بك وذريتها اجيرها بحفظك من الشيطان الرجيم
المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وآله ما من مولود يولد الا الشيطان يمسه
حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتأثر
منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمها ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان
الذكر بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها
ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها
عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم
فان بني ماثان كانت رؤس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة
وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى النهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم
فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل
كتقصى وتعجل اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما
يصلحها في جميع احوالها وكفلها زكريا شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم
في رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله تعالى وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها
وخففها الباقون ومدوا زكرياء مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اي الغرفة التي بنيت لها او
المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف
موضع من بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها غيره
واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس قال
يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الآتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل
على جواز كرامة الاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله
فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ان
الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل

ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله تعالى روي ان فاطمة عليها السلام اهدت لرسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع رسول الله اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا
هو مملوء بالخبز واللحم فقال لها انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب
فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين عليهم السلام
وجميع اهل بيته حتى شبعوا وبقي الطعام فاوسعت على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه
في ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى كرامة مريم ومنزلتها من الله
تعالى قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما راى
الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسال وقال هب لي من لدنك لانه لم
يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة اي من
جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان جبرئيل عليه السلام وحده وقرأ حمزة والكسائي فناديه
فناديه بالامالة والتذكير وهو قائم يصلي في المحراب اي قائما في الصلوة ويصلي صفة قائم او خبر او حال
آخر او حال من الضمير في قائم ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرأ نافع وابن عامر وحمزة بالكسر على
ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائي يبشرك ويحيى اسم اعجمي فان جعل
عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اي بعيسى سمي بذلك لانه وجد
بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله تعالى سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة
لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم في انه ما هم بمعصية وحصورا
مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال
ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا منهم او كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة
قال رب انى يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة او استعظام او تعجب او استفهام عن كيفية
حدوثه وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان
وتسعون وامرأتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله
يفعل ما يشاء اي يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد او كذلك الله من
شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد

او كذلك الله

او كذلك الله مبتدأ وخبر اي الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر محذوف اي
الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان له قال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة
والشكر وتريح مشقة الانتظار قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام ان لا تقدر على تكليم الناس ثلاثا
وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة وكانه قال
آيتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا اشارة بنحو
يد او راس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل
على الضمير وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين
كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو
مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من الزوال
الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ
بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك على نساء العالمين وطهرك
كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة لزكريا او ارهاصا لنبوة عيسى
عليه السلام فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل الهموها
والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم تقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب
وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية
كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين يا مريم
اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة في الجماعة بذكر اركانها مبالغة
في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو
لا يوجب الترتيب او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلوتهم ركوع ليسوا مصلين
وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة
كقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي ما ذكرنا
ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم
للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة تبركا والمراد تقرير كونه وحيا
على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقائع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة

فيه عندهم فنبه ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف
دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا او يقولوا ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ
يختصمون تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او
من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم
ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كا
لصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسيح
لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبرئيل
ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تمييز الاسماء
نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدأ فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي
ان الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز
ان يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفة وانما قال ابن مريم والخطاب لها تنبيها على
انه يولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الاباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا
والاخرة حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها للمعنى والوجاهة
في الدنيا النبوة وفي الاخرة الشفاعة ومن المقربين من الله تعالى وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة
او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا
كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد
وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشاد الى انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين
حال ثالثة من كلمة او ضميرها الذي في يكلم قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب واستبعاد
عادي واستفهام على انه يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبرئيل عليه السلام
او الله جل جلاله وجبرئيل حكى لها قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة الى انه كما يقدر ان
يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية
والانجيل كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج او عطف

على يبشرك او وجيها او يخلق والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقرئ
نافع وعاصم ويعلمه بالياء والباقون بالنون ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم منصوب
بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة متضمنا
معنى النطق وكانه قال وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او الرد على من زعم انه
مبعوث الى غيرهم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب على بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من اية
او رفع على هي اني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم وقرئ نافع اني بالكسر واصور شيئا مثل صورة الطير فانفخ
فيه الضمير للكاف اي في ذلك المماثل فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا بامر الله تعالى نبه به
على ان احياءه من الله تعالى لا منه وقرئ نافع هنا وفي المائدة طائرا بالالف والهمزة فيكون طائرا وابرئ
باذن الله كرر الاكمه والابرص الذي ولد اعمى او الممسوح العين روي انه ربما كان يجتمع عليه الوف
الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما يداوي الا بالدعاء واحيي الموتى
باذن الله كرر باذن الله دفعا لتوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية وانبئكم
بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها ان في ذلك لاية لكم ان
كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين
ومصدقا لما بين يدي من التورية عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم
اي قد جئتكم مصدقا ولاحل لكم مقدر باضماره او مردود على قوله قد جئتكم باية او معطوف على معنى مصدقا
كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى عليه السلام كالشحوم والثروب
والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا يخل
ذلك بكونه مصدقا للتورية كما لا يعود نسخ القران بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ
في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي جئتكم باية اخرى القيتها ربكم وهي قولي ان الله ربي وربكم فانه
دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارق بين النبي والساحر او جئتكم باية على ان الله ربي وربكم
وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم باية من ربكم اي جئتكم باية
بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى

فاتقوا الله اى لما جئتكم بالمعجزات القاهرة والآيات الباهرة فاتقوا الله فى المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه
ثم شرع فى الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربى وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد
الحق الذى غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التى هى الاتيان
بالاوامر والانتهاء عن المناهى ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة
ونظيره قوله عليه السلام قل آمنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق
ما يدرك بالحواس قال من انصارى الى الله ملتجئا الى الله او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق
الجار بانصارى متضمنا معنى الاضافة اى من الذين يضيفون انفسهم الى الله فى نصرى وقيل الى ههنا بمعنى
مع او فى او اللام قال الحواريون حوارى الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات
للحضريات لخلوص الوانهن سمى به اصحاب عيسى لخلوص نيتهم ونقاء سرائرهم وقيل كانوا ملوكا
يلبسون البيض استنصر بهم عيسى عليه السلام من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اى يبيضونها
نحن انصار الله اى انصار دينه آمنا بالله واشهد بانا مسلمون اى لتشهد لنا يوم القيمة حين
يشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اى مع
الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد صلى الله واله فانهم شهداء
على الناس ومكروا اى الذين احس عيسى منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة
ومكر الله حين رفع عيسى عليه السلام والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه فى الاصل
حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين
اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله يا عيسى ظرف لمكر الله او خير الماكرين
او لمضمر مثل وقع ذلك انى متوفيك اى مستوفى اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما
اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالى او متوفيك نائما اذ روى انه رفع نائما او مميتك
عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء
واليه ذهب النصارى ورافعك الى الى محل كرامتى ومقر ملائكتى ومطهرك من الذين كفروا من سوء
جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة
والسيف فى غالب الامر ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم

ولم يتفق

ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الى مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه ومن كفر به وغلب المخاطبين على الغائبين
فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا
فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم تفسير
الحكم وتفصيل له والله لا يحب الظالمين تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره
وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك وقوله من الآيات حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى
الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق
الخلل اليه يريد به القرآن وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم اى ان شأنه الغريب كشأن آدم
خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم من تراب
بلا اب وام وشبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب
ثم قال له كن اى انشأ بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان
يكون ثم لتراخى الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر محذوف اى هو الحق وقيل
الحق مبتدأ ومن ربك خبره اى الحق المذكور من الله تعالى فلا تكن من الممترين خطاب للنبى على طريقة
التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك من النصارى فيه فى عيسى من بعد ما جاءك من العلم
اى من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالرأى والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم
وانفسنا وانفسكم اى يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما
قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اى نتباهل بان نلعن الكاذب منا
والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله
على الكاذبين عطف فيه بيان روى انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان
ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل فى امر صاحبكم والله ما باهل قوم
نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله وقد غدا محتضنا الحسين
آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر
النصارى انى لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا
فاذعنوا لرسول الله وبذلوا له الجزية الفى حلة حمراء وثلاثين درعا من حديد فقال عليه السلام والذى
نفسى بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستاصل الله نجران

واهله حتى الرضيع على الشيء وهو دليل على نبوته وفيه فضل من اتى بهم من اهل بيته ان هذا اي ما قص من نبأ
عيسى ومريم لهو القصص الحق بجملته خبر ان او فصل ويفيد ان ما ذكره في شأن عيسى ومريم حق دون
ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلته لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها ان تدخل المبتدأ وما من
اله الا الله صرح فيه بمن الزائدة للاستغراق تأكيدا للرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز
الحكيم لا احد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا فان
الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض
عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدي الى فساد النفس بل والى فساد العالم قل
يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب ويفسرها ما بعدها الا نعبد الا الله ان نوحده بالعبادة
ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق
العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا نقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله
ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه لما نزلت
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله
قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك فان تولوا
عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او
اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعى في هذه القصة
من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاور عليه من الاطوار
المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما راى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة
بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل
والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى عليه السلام والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك

ايضا عليهم

٩٦

ايضا عليهم وعلم ان الايات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون
يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده تنازعت
اليهود والنصارى في ابراهيم وزعم كل فريق انه منهم فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت
والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثتا بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى عليهما السلام وكان
ابراهيم قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون فتدعون المحال ها
انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي
غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان
حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التورية والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه
فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم
صلته وقيل ها انتم اصله اانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء والله
يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
تصريح بمقتضى ما قرر من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما منقادا لله تعالى
وليس المراد به انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم
مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم ان اولى الناس
بابراهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه من امته وهذا النبي
والذين امنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا
على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم
ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية
ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون وما يتخطاهم الاضلال ويعود وباله الا عليهم
اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون الا امثالهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب
لم تكفرون بايات الله بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وانتم تشهدون
انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب
اي التورية والانجيل

لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبسون
بالتشديد وتلبسون بالفتح اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبي زور وتكتمون
الحق نبوة محمد صلى الله عليه وآله ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب
آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار اي اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار واكفروا
آخره لعلهم يرجعون واكفروا به آخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر
لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة
آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم
يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام
اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التورية
لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم
او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله
يهدي من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك
ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا
يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل
او خبر ان على ان هدى الله بدل منه عنا الهدى وقراءة ابن كثير أأن يؤتى على الاستفهام للتقريع يؤيد
الوجه الاول اي أالان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا
ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف
على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو
ضمير احد لانه في المعنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله
واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة
ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الف
الف ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن
عازورا استودعه قرشي آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم

الامانة وفي الخائنين في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة وقرأ حمزة وابو بكر وابو عمرو يؤده اليك
ولا يؤده اليك باسكان الهاء وقالون باختلاس الكسرة الهاء وكذا روي عن هشام والباقون باشباع
الكسرة الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك قائما على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة
البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا
في الاميين سبيل اي ليس علينا في شأن من ليسوا من اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم ويقولون
على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا
لم يجعل لهم في التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط
حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه ... وهو تحت قدمي الا الامانة
فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده واتقى
واتقى فان الله يحب المتقين استيناف مقرر للجملة التي سدت مسدها والضمير المجرور
لمن او لله وعموم المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء الى من والاشعار بان التقوى ملاك
الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون يستبدلون
بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم
والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله بما
يسرهم او بشيء اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات الله واياته والظ
انه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان من سخط على غيره واستهان به اعرض
عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم
ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم على ما فعلوه قيل نزلت في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت
محمد صلى الله عليه وآله وحكم الامانات وغيرها واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة
في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي
في بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودي وان منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي بن اخطب
يلوون السنتهم بالكتاب فيميلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب
وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها
لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء

والقصر ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله تاكيد لقوله وما هو من الكتاب

وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذالك تصريحا لا تعريضا اى ليس هو نازلا من عند الله وهذا لا

يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعل الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم

بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس

كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى عليه السلام وقيل ان ابا رافع القرظي

القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله

وان نامر بغير عبادة الله فما بذالك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك

كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا

نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني

منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم

والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين

الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة العلم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد

والعمل وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس

وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان تكون القراءة المشهورة ايضا

بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين

اربابا نصبه ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب عطفا على ثم يقول ويكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي

في قوله ما كان اى ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر باتخاذكم الملائكة

والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا يامر باتخاذ اكفائه

اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستيناف ويحتمل الحال ايامركم

بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب للمسلمين

وهم المستاذنون لان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة

ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء

للانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن

عن ذكر الامم

عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق

الذى وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم

بنبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وآله لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا

منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن

ساد مسد جواب القسم والشرط ويحتمل الخبرية وقرئ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اى لاجل ايتائي

اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول الله صلى الله عليه وآله مصدق اخذ الله لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة

والمعنى اخذه للذى اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين اتيتكم او لمن الموصولة

او لمن اجل على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا قال ااقررتم

واخذتم على ذالكم اصرى اى عهدى سمى به لانه يوصر اى يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر

عبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال فاشهدوا اى فليشهد بعضكم على

بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم

وتشاهدكم شاهد وهو تاكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذالك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار

بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون المتمردون من الكفرة افغير دين الله يبغون عطف

على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او على محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله

يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في رواية

في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض

طوعا وكرها اى طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق

الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم

لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضي عليهم واليه يرجعون وقرئ حفص ويعقوب بالياء على الضمير قل آمنا

بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى و

وعيسى والنبيون من ربهم امر للرسول عليه السلام بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو

منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان

يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهي الى الرسل يعدى بعلى

لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف له والعيار عليه

اى القرآن اى المنزل السابق

لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته ومن
يبتغ غير الاسلام دينا اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعم فلن يقبل منه وهو في الآخرة
من الخاسرين الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد
للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان
هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره
ولعل الذي ايقن الاعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق
وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال
بعيد عن الرشد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا يقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما
في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل
على ان الاقرار باللسان خارج عن الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك
جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم
وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مايوسون
عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر
ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة والعقوبة
او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له
مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل عليه قيل انها
نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة
فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم
ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى عم والانجيل بعد الايمان بموسى عم والتورية ثم ازدادوا
ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وآله والقران او كفروا بمحمد صلى الله وآله بعد ما آمنوا به
قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض
الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد صلى الله عليه وآله
ريب المنون

الجزء الرابع

ريب المنون او نرجع اليه وننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا
اشرفوا على الهلاك فكني عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شأنهم وابرازا لحالهم في صورة
الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا يكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل
الفاء فيه واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار
فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا تغليظا في شأنهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآ
الآيسين عن الرحمة لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخل الفاء ههنا
للاشعار به وملء الشيء ما يملأه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او
الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى
بملء الارض ذهبا او تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة والمراد ولو افتدى بمثله
كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين
في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة في التحذير واقناط لان من لا يقبل منه الفداء
ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر اي
لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضى والجنة حتى
تنفقوا مما تحبون اي من المال او مما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله
والمهجة في سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي
بيرحاء فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذلك مال رابح او رايح واني ارى ان تجعلها
في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبه فقال هذا في سبيل الله فحمل عليه رسول الله صلى الله عليه
وآله اسامة فقال زيد انما اردت ان اتصدق به فقال عليه السلام ان الله قد قبله منك و
ذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الآية تعم الانفاق الواجب
والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من
شيء اي من اي شيء او غيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام اي
المطعومات والمراد اكلها كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به
ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال الله تعالى لا هن حل لهم الا
ما حرم اسرائيل يعقوب عليه السلام على نفسه كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النساء فنذر

على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة انها مجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما
يأتي الى الشيء فهو سبيله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وضع كفر موضع لم يحج تأكيدا
لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال النبي عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء الله
يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه
في الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله تعالى في رقاب الناس وتعميم اولا
وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث
انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين
بدل عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس
واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله تعالى روي انه لما نزل صدر
الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا وآمنت به
ملة واحدة وكفرت به خمس ملل ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله او بآياته
السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب
بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل
فهم كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا
ينفعكم التحريف والاستسرار قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن كرر الخطاب
والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في
نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون
المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي
والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال من الواو اي باغين طالبين
لها عوجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحوهما او بان يحرشوا بين المسلمين ليختلف كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله
تعالى والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم
في القضايا وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به

ختمها بقوله والله شهيد ولما كان في هذه صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال
وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم
كافرين نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي
فغاظه تألفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما
قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح
واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال اتدعون الجاهلية والف بينكم
فعلموا انها نزغة وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا
فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا
مع الرسول عليه السلام وانما خاطبهم الله تعالى بنفسه بعدما امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب
اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله تعالى وكيف تكفرون وانتم تتلى
عليكم آيات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان
الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره فقد هدي
الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما
يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم
وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة
عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تأكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة
وقية فقلبت الواو المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن
على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو
الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدينه الاسلام
او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب النجاة
عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا
للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا تتفرقوا تفرقكم
في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها
الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الى التآلف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فألف

فألف بين قلوبكم بالإسلام فأصبحتم بنعمته إخوانا متحابين مجتمعين على الأخوة في الله تعالى وقيل كان الأوس
والخزرج أخوين لأبوين فوقع بين أولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى أطفأها الله
تعالى بالإسلام وألف بينهم برسوله وكنتم على شفا حفرة من النار مشفين على الوقوع في نار جهنم
لكفركم إذ لو أدرككم الموت في تلك الحالة لوقعتم في النار فأنقذكم منها بالإسلام والضمير للحفرة أو
للنار أو للشفا وتأنيثه لما أضيف إليه أو لأنه بمعنى الشفة فإن شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة
وأصله شفو قلبت الواو ألفا في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله
لكم آياته دلائله لعلكم تهتدون إرادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم أمة يدعون
إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من
فروض الكفاية ولأنه لا يصلح له كل أحد إذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الأمة كالعلم بالأ
بالأحكام ومراتب الاحتساب وكيفية إقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل
بعضهم ليدل على أنه واجب على الكل حتى لو تركوها رأسا أثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل
ما هو فرض كفاية أو للتبيين بمعنى وكونوا أمة يأمرون كقوله كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون
بالمعروف والدعاء إلى الخير يعم الدعاء إلى ما فيه صلاح ديني أو دنيوي وعطف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
عليه عطف الخاص على العام للإيذان بفضله وأولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح روي
روي أنه عليه السلام سئل عن خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم
بالرحم والأمر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يأمر به والنهي عن المنكر واجب كله لأن جميع ما أنكره
الشرع حرام والأظهر أن العاصي يجب عليه أن ينهى عما يرتكبه لأنه يجب عليه تركه وإنكاره فلا يسقط
بترك أحدهما وجوب الآخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد
والتنزيه وأحوال الآخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق
عليه والأظهر أن النهي فيه مخصوص بالتفرق في الأصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف أمتي
رحمة ولقوله عليه السلام من اجتهد فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد وأولئك لهم عذاب عظيم
وعيد للذين تفرقوا أو تهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى
الفعل أو بإضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل

يوسم أهل الحق ببياض الوجه والصحيفة وإشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه وأهل الباطل بأضداد
ذلك فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم على إرادة القول أي فيقال لهم أكفرتم والهمزة
للتوبيخ والتعجب من حالهم وهم المرتدون أو أهل الكتاب كفروا برسول الله صلى الله عليه وآله بعد إيمانهم به
قبل مبعثه أو جميع الكفار كفروا بعد ما أقروا به حين أشهدهم على أنفسهم أو تمكنوا من الإيمان بالنظر في الدلائل
فذوقوا العذاب أمر إهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم أو جزاء لكفركم وأما الذين ابيضت وجوههم ففي
رحمة الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على أن المؤمن وإن استغرق عمره في طاعة
الله لا يدخل الجنة إلا برحمته وفضله وكان حق الترتيب أن يقدم ذكرهم ولكن قصد أن يكون مطلع الكلام
ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون أخرجه مخرج الاستئناف للتأكيد كأنه قيل كيف يكونون
فيها فقال هم فيها خالدون تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق
ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين إذ يستحيل الظلم منه لأنه لا يحق عليه شيء
فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لأنه المالك على الإطلاق كما قال ولله ما في السموات وما
في الأرض وإلى الله ترجع الأمور فيجازي كلا بما وعد له وأوعده كنتم خير أمة دل على خيريتهم
فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله أو في اللوح أو فيما
بين الأمم المتقدمين أخرجت للناس أظهرت لهم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استئناف
بين به كونهم خير أمة أو خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الإيمان بكل ما يجب أن
يؤمن به لأن الإيمان به إنما يحق ويعتد به إذا حصل الإيمان بكل ما أمر أن يؤمن به وإنما أخره وحقه
أن يقدم لأنه قصد بذكره الدلالة على أنهم أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر إيمانا بالله وتصديقا به و
إظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على أن الإجماع حجة لأنها تقتضي كونهم آمرين بكل معروف وناهين
عن كل منكر إذ اللام فيهما للاستغراق فلو أجمعوا على باطل كان أمرهم على خلاف ذلك
ذلك ولو آمن أهل الكتاب إيمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الإيمان خيرا لهم مما هم عليه منهم
المؤمنون كعبد الله بن سلام وأصحابه وأكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي
بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم إلا أذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وإن يقاتلوكم
يولوكم الأدبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل وأسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون أحد ينصرهم عليكم أو يدفع
بأسكم عنهم نفى إضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بأنهم لو قاموا إلى القتال كانت الدبرة عليهم

ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون
عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان كذلك حال قريظة و
النضير وبني قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل
بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم عام
عام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او متلبسين بذمة الله تعالى او كتابه
كتابه الذي اتاهم او ذمة المسلمين او بدين الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤوا بغضب من الله
رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله
واليهود في غالب الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء
والمسكنة بالغضب بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم
كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء ذلك اي الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم
واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغاير يفضي الى الكباير والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر
وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو
مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا والتقييد بغير حق مع انه
كذلك في نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم ايضا ليسوا سواء في المساوي
والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة قائمة استئناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة
العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون
يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح
وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي انه عليه السلام اخرها ثم خرج فاذا الناس
الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون
بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات اخر
لامة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله
ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون عن
الخيرات واولئك من الصالحين اي الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله تعالى

واستحقوا رضاه وثناءه وما تفعلوا من خير فلن تكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك
كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرأ حمزة ويعقوب حفص
والكسائي وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء والله عليم بالمتقين بشارة لهم
واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله تعالى هو اهل التقوى ان
الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او من الغناء اي الكفاية
فيكون مصدرا واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون مثل ما ينفقون اي
ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا في هذه الحيوة الدنيا كمثل
ريح فيها صر برد شديد والشايع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت
وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته
عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته
صر فاستاصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم
يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله
ولكن انفسهم يظلمون اي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكن ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها
بحيث يعتد بها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا
به العقوبة وقرئ ولكن اي لكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف
الا في الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة وليجة
وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه السلام والاولياء والاصفياء
الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف
او صفة لبطانة اي بطانة كائنة من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون لكم في الفساد والالو التقصير
واصله ان يعدى بالحرف وعدي بمفعولين لقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص ودوا
ما عنتم تمنوا [illegible] اعنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية وما تخفي صدورهم
اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة
المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستانفات على التعليل
ويجوز ان يكون الثلث الاول صفات لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اي انتم اولاء

اولاء الخاطئون في موالات الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء
والجملة خبر لانتم كقولك انت زيد تحبه او صلة له او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز
ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتاب كله وهو
حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم
لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا
وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تاسفا وتحسرا حيث لم يجدوا خلوا
الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام
واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق
وهو يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل
غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني
عليم بالاخفى من ضمائرهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان
لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالكم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابكم من ضر وشدة
والمس مستعار للاصابة وان تصبروا على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا موالاتهم او ما حرم
الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب
بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرئ ابن كثير ونافع
وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره ان الله بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط اي محيط
علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون في عداوتكم عليم فيعاقبهم عليه واذ غدوت اي واذ
واذكر اذ غدوت من اهلك من حجرة عائشة تبوئ المؤمنين تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة
باللام مقاعد للقتال مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله
في مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم روي ان المشركين
نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال من سنة ثلاث من الهجرة فاستشار رسول الله صلى الله عليه وآله
اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج
الى العدو فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا

فدعهم فان اقاموا

فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا
خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه السلام رايت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا
ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان
رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج
بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما راوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول
الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بشعب احد
يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن
جبير على الرماة فقال انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او
او بدل من اذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر
ان تفشلا ان تجبنا وتضعفا روي انه عليه السلام خرج في زهاء الف رجل ووعدهم النصر ان صبروا
فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابي في ثلث الناس فقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم
الانصاري وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان
باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله والظاهر انها ما كانت عزيمة لقوله والله
وليهما اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما يفشلان وعلى
الله فليتوكل المؤمنون اي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم
الله ببدر تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة
حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح
فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون ما انعم الله به عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون
فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت
على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم و
وخالفوا امر الرسول لم تنزل الملائكة الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين
انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم
وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا بالف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف
ثم صار خمسة آلاف وقرئ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج بلى ايجاب لما بعد

لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا
ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير
للسرعة ثم اطلقت للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى ان يأتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف
من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ وتأخير مسومين معلمين من التسويم الذي هو اظهار سيماء
الشيء لقوله عليه السلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم بمعنى
الاسامة وقرئ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل امداد
امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن اليه من الخوف
وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما
امدهم ووعد لهم بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحثا
على ان لا يبالوا بمن تأخر عنهم العزيز الذي لا يغالب في اقضيته الحكيم الذي ينصر ويخذل بوسط و
بغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم او وما النصر ان
كان في يوم بدر من قتل الائمة فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر الآخرين وهو ما كان
في يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم ويخزيهم والكبت شدة غيظ
او وهن يقع في القلب واو للتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الآمال ليس لك
من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك
امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم
شيء وانما انت عبد مأمور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شيء
باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم
شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون او بمعنى الا ان اي ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله
عليهم فتسر به او يعذبهم فتشتفي منهم وروي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل
صلى الله عليه وآله يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم
ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله
ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في

نفي وجوب

في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى
الدعاء عليهم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة
ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى
يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرئ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله
فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز
بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض
للعصاة واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا
في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل اليها وسارعوا بادروا واقبلوا
الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرئ نافع وابن عامر
سارعوا بلا واو وجنة عرضها السموات والارض اي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة
في وصفها بالسعة على طريق التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس رضه كسبع سموات وسبع ارضين
ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة
وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في
السراء والضراء في حالتي الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو في حال ما عن ما
قدروا عليه من مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدر الله عليهم من قليل او كثير و
والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظم غيظا
من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبي صلى الله عليه وآله من كظم غيظا
وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس التاركين عقوبة
من استحق مؤاخذته وعن النبي صلى الله عليه وآله ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله
وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد
فيكون الاشارة اليهم والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم
بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم
النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم
والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد

والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على
ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم
سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا اي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم
مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت
به والجملة مستانفة مبينة لما قبلها ان عطفته على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم
من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد
النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون
مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين
انه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا
على حدود الشرع وتخطوا الى التخصص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله ونعم اجر العاملين
لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك و
المحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره
ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقائع سنها الله
تعالى في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال
ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا راى مثله في سالف السنن فسيروا في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم هذا بيان للناس
وهدى وموعظة للمتقين اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين
فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ما لخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث
على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى
لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم شأنا
فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار
او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون
بشارة لهم بالنصر

اشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب
بالوثوق على الله عز وجل او بالاعلون ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرئ حمزة والكسائي
وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم
ألمها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم
اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا
منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة
ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاورة يقال داولت الشيء
بينهم فتداولوه والايام تحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر
والغلبة وليعلم الله الذين آمنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله
ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف
تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقائضه ليس الى اثبات
علمه تعالى ونفيه بل الى المعلول ونفيه على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو
العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم شهداء اي ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم
شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد والله لا يحب الظالمين الذين
يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه لا ينصر الكافرين على الحقيقة
وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين آمنوا ليطهرهم ويصفيهم من
الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت الدولة عليهم والمحق نقص
الشيء قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم ولما تجاهدوا بعضكم وفيه دليل على ان الجهاد فرض كفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع
الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذف النون ويعلم الصابرين
نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم
صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة

والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله مشهدا لينالوا ما نال
شهداء بدر من الكرامة فالحّوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا
شدته فقد رايتموه وانتم تنظرون اي فقد رايتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم
وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة
فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو
كما خلوا بالموت او القتل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم
على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا
به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد
وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن قمئة الى رسول الله صلى الله عليه وآله بحجر فكسر رباعيته وشج
وجهه فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبي صلى الله
عليه وآله فقال لقد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول
يدعو الي عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق
الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين
لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم
ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعده فقاتلوا على ما قاتل
عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت
ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين
على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله
الا بمشيته او باذنه لملك الموت في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه
وقضائه لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه
تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول بالحفظ وتاخر الاجل كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب
الموت كتابا مؤجلا صفة له اي مؤقتا لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها

تعريض بمن شغلتهم

تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون
فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم
فهزموهم ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا
نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وكأين اصله اي دخلت الكاف عليها فصارت بمعنى كم
والتنوين والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاع ووجهه انه
قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار كيأين ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم
ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائي من نبي بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون
علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة وقرأ ابن
كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى الربيين او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه
ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغيرات النسب
كالكسر فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من النبي
او بعضهم وما ضعفوا عن العدو او في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله
استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف
من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا التعريض
بما اصابهم عند الارجاف بقتله والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم
الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
اي وما كان مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب
والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالهم والاستغفار عنها
ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب
الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فآتاهم الله
ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجا
الى الله النصر والغنيمة وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها بالحسن

اشعار بفضله وانه المعتد به عنده يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم
فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم
ولو كان محمد صلى الله وآله نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا الى ابي سفيان واشياعه وتستأمنوهم
يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موا
فقتهم بل الله مولاكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين
فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوبهم
من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد صلى الله
عليه وآله موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلم ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا
ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرئ
ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم
به ما لم ينزل به سلطانا اي الهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم
به سلطان وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة السلطنة القوة ومنه
السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين
الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع الضمير للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله
وعده اي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين
لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم
اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رايكم او
او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة
حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما وقوفنا ههنا وقال الآخرون لا نخالف امر الر
الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم
من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم
منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون
محافظة على امر الرسول ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم
على ليبتليكم

الرشق تیر باران کردن

ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة
والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء
ايضا رحمة الله اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد
في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول
يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم او
جماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف على صرفكم والمعنى
فجازاكم عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف
بقتل الرسول او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وآله بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر
في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم
من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول
اي فآساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية
لكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم
وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس
وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط
فياخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة
او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ
امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن يغشى طائفة منكم اي النعاس وقرئ حمزة والكسائي بالتاء
ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم
انفسهم في الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية
صفة اخرى لطائفة او حال او استيناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اي يظنون
بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدل منه وهو الظن المختص بالملة الجاهلية
واهلها يقولون اي لرسول الله وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء هل لنا مما امر الله تعالى

ووعده من النصر والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير
انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شيء
قل ان الامر كله لله اي الغلبة الحقيقية لله تعالى ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او القضاء
والقضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرئ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء
يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون
للنصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اي في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون
او استئناف على وجه البيان له لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد صلى الله عليه وآله او زعم ان الامر
كله لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان رأي ابن ابي وغيره ما قتلنا ههنا
لما غلبنا ولما قتل منا في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم
جمعهم اي لخرج الذين قدر الله تعالى عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفع الا
الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي
وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص الله ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص
والنفاق وهو علة فعل محذوف اي فعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف اي لبرز لنفاذ القضاء
او لمصالح جمة وللابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه
الوساوس والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني
عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم
التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان
السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص على
الغنيمة او الحياة لمخالفة النبي صلى الله عليه وآله فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان
توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر
ذنوب سلفت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله

عنهم

عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب
يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى
اخوتهم اتفاقهم في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او
غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى
لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين
ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم
عدوا وحزنا او لا تكونوا اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في
قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اي
لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما
يغمهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر في الحياة والممات لا الاقامة والسفر فانه
فقد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان
ان يماثلوهم وقرئ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء بكسر الميم من مات على انه وعيد للذين كفروا
ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اي متم في سبيله وقرئ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم
من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء
والمعنى ان السفر والغزو ليسا مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله
فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وقرئ حفص
بالياء ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لا الى معبودكم الذي
توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرئ
نافع وحمزة والكسائي متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة الله وما مزيدة
للتأكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق
بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيء الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا

لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما
لله وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ الكلام فيه فيما تشاورهم فيه استظهارا برايهم و
وتطييبا لنفوسهم وتمهيد السنة المشورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء
بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت
على التكلم اي فاذا عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب
المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب
لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد
خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض على ما
يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل
عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به وما كان لنبي ان يغل وما يصح لنبي ان يخون في الغنائم
الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه
في خفية والمراد منه اما براءة الرسول صلى الله عليه وآله عما اتهم به اذ روي ان قطيفة حمراء
فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا
المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وآله من اخذ شيئا فهو له ولا
يقسم الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول صلى الله عليه وآله من الاخذ على ما روي انه
بعث طلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان فغنم رسول الله صلى الله عليه وآله فقسم على من
معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة
ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح
له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة يأت بالذي غله يحمله
على عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت
وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه

اذا كان كل

اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب
مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله
بسبب المعاصي ومأواه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف
الحالة الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في
الثواب والعقاب او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتهم صادرة
عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم على من آمن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع
ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر محذوف مثل منه او بعثه
اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم او جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة و
ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم لانه عليه
السلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم يتلو عليهم آياته اي القرآن بعد ما كانوا
جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب
والحكمة القرآن والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان هي المخففة واللام هي الفارقة
والمعنى وان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم
انى هذا الهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف
مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرف مضاف الى اصابتكم حين اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين
منكم يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا
اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم اي مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز
فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن علي عليه
السلام باختياركم الفداء يوم بدر ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب
ان يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم
احد فباذن الله فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين و
وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء و
وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا
تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا

للنفع الدنيوي

الكفرة او ادفعوا بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم
قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس
الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان
لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم
منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس
في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تأكيد
تأكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم
واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف
للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجلهم
يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا حال مقدرة بقد اي قالوا
قاعدين عن القتال لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان
كنتم صادقين اي ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم
الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال
يكون سببا للهلاك والقعود يكون سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله
او لكل احد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول
محذوف لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة
المقتولين بل احياء اي بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم ذوو زلفى
منه يرزقون من الجنة وهو تأكيد لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو شرف
الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله تع والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون
بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اي الذين
من خلفهم

نصف الجزء

من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما
تبين لهم من امر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا
احياء حيوة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل
المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه
والتذاذه ويؤيده ذلك قوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا الآية وما روى
ابن عباس انه عليه السلام قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من
ثمارها وتأوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم
احياء يوم القيامة وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث
على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما
انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون كرره للتوكيد وليعلق به ما هو بيان
لقوله الا خوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم
وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا يضيع
اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطفا على فضل وقرئ الكسائي بالكسر على انه استيناف معترض
دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين
استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدأ خبره للذين
احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذلك الوصفين المدح و
والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا
فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فندب اصحابه للخروج
في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج عليه السلام مع جماعة حتى بلغوا
حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى
لا يفوتهم الاجر والقى الله تع الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس
يعني الركب الذي استقبلهم من عبد قيس او نعيم ابن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس
لانه من جنسهم كما يقال فلان يركب الخيل وما له الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة

الروحا موضع بين مكة والمدينة

تحاملت الشيء حملته على مشقة

فشوا وانتشروا

وأذاعوا الكلام إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني أبا سفيان وأصحابه روي أنه نادى عند انصرافه
من أحد يا محمد صلى الله عليه وآله موعدنا موسم بدر القابل إن شئت فقال عليه السلام إن شاء الله
فلما كان القابل خرج في أهل مكة حتى نزل مر الظهران فأنزل الله تعالى الرعب في قلبه وبدا له أن يرجع فمر به ركب
من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب إن ثبطوا المسلمين
وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الإبل فخرج نعيم فوجد المسلمين
يتجهزون فقال لهم أتوكم في دياركم فلم يفلت منكم أحد إلا شريد أفترون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم
ففتروا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكبا كلهم
يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل فزادهم إيمانا الضمير المستكن للمقول أو لمصدر قال أو لفاعله إن
أريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى أنهم لم يلتفتوا إليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم
بالله وازدادوا إيمانهم وأظهروا حمية الإسلام وأخلصوا النية عنده وهو دليل على أن الإيمان
يزيد وينقص قال نعم يزيد ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول الله صلى الله عليه وآله الإيمان
يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر
إن جعل الطاعة من جملة الإيمان وكذا إن لم يجعل فإن اليقين يزداد بالإلف وكثرة التأمل
وتناصر الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا الله وكافينا من أحسبه إذا كفاه ويدل على أنه بمعنى المحسب أنه لا
يستفيد بالإضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل ونعم الموكول إليه هو فانقلبوا
فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الإيمان وزيادة فيه وفضل وربح في التجارة فإنهم
لما أتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو واتبعوا رضوان الله
الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجرأتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل
عليهم بالتثبيت وزيادة الإيمان والتوفيق للمبادرة إلى الجهاد والتصلب في الدين وإظهار الجرأة
على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوؤهم وإصابة النفع مع ضمان الأجر حتى انقلبوا بنعمة منه
وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به إنما ذلكم الشيطان يريد به

المثبط نعيما

المثبط نعيما أو أبا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته أو صفة وما بعده خبر ويجوز
أن تكون الإشارة إلى قوله على تقدير مضاف أي إنما ذلكم قول الشيطان يعني إبليس يخوف أولياءه
القاعدين عن الخروج مع الرسول عليه السلام أو يخوفكم أولياءه الذين هم أبو سفيان وأصحابه
فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على الأول وإلى الأولياء على الثاني وخافون في مخالفة أمري فجاهدوا
مع رسولي إن كنتم مؤمنين فإن الإيمان يقتضي إيثار خوف الله تعالى على خوف الناس ولا يحزنك
الذين يسارعون في الكفر يقعون في الكفر سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين أو
قوم ارتدوا عن الإسلام والمعنى لا يحزنك خوف أن يضروك ويعينوا عليك لقوله إنهم لن
يضروا الله شيئا أي لن يضروا أولياء الله بمسارعتهم في الكفر وإنما يضرون بها أنفسهم وشيئا
يحتمل المفعول والمصدر يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة نصيبا من الثواب في الآخرة وهو
يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الإرادة إشعار بأن كفرهم بلغ الغاية حتى
أراد أرحم الراحمين أن لا يكون لهم حظ من رحمته وأن مسارعتهم إلى الكفر لأنه تعالى لم يرد
لهم أن يكون لهم حظ في الآخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب إن الذين اشتروا
الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم تكرير للتأكيد أو تعميم للكفرة بعد تخصيص
من نافق من المتخلفين أو ارتد من الأعراب ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير
لأنفسهم خطاب للرسول أو لكل من يحسب والذين مفعول وأنما نملي لهم بدل منه وإنما اقتصر
على مفعول واحد لأن التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله أم تحسب أن أكثرهم
يسمعون أو المفعول الثاني على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب أن
الإملاء خير لأنفسهم أو ولا تحسبن حال الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم وما مصدرية
وكان حقها أن تنفصل في الخط لكنها وقعت متصلة في الإمام فاتبع وقرأ ابن كثير ونافع
وابن عامر وأبو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على أن الذين فاعل وأن مع ما في حيزه
مفعول وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وحمزة وعاصم والإملاء الإمهال وإطالة العمر
والإطالة

ونبين تخليتهم وشأنهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما استئناف
بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح
وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان الاملاء لهم لازديادهم الاثم
بل للتوبة والدخول في الايمان انما نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا خير لهم ان انتبهوا وتداركوا فيه
ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب
مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة
المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق
من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص
الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل به على
عقايدكم وقرئ حمزة والكسائي يميز من ميز وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي
يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من
كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل
عليها فآمنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم
عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحي اليهم روي ان الكفرة قالوا ان
ان كان محمد صلى الله عليه وآله صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي
السدي انه عليه السلام قال عرضت على امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون
انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق
الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتيهم الله
الله من فضله هو خيرا لهم القراءة فيه ما سبق ومن قرئ بالتاء قدر مضافا ليتطابق
مفعولاه ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرئ بالياء ان جعل الفاعل ضمير
الرسول عليه السلام او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون

بما يبخلون عليهم

يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرئ بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول عليه السلام او من يحسب وان جعله
الموصول كان المفعول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو
اي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لذلك والمعنى
سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه السلام ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله
له شجاعا في عنقه يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء
يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله ببخلهم
ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرئ نافع و
وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا
ان الله فقير ونحن اغنياء قالته اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي انه
عليه السلام كتب مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة
وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حين سال القرض فلطمه
ابو بكر وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وجحد
ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء
بغير حق سنكتبه في صحائف الكتبة او سنحفظه في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء
بالقرآن والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوه وان
من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول وقرئ حمزة سيكتب بالياء وضمها
وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم منهم بان نقول
لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغة في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع
يستعمل لادراك ساير المحسوسات والحالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشي
عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من
فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وساير

ذلك اشارة الى العذاب

معاصيهم عبر بالايدي عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت
وسببية للعذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين
قالوا هم كعب بن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امرنا في
التورية واوصانا الا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا
بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء بني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي صلى الله عليه
وآله فيدعوا فتنزل نار سماوية فتاكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم
لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وساير المعجزات شرع في ذلك قل
قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين تكذيب والزام بان
رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان
الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا
بمن جاء به معجزات اخر واجترؤا على قتله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤ بالبينات والزبر
والكتاب المنير تسلية للرسول من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من
زبرت الشيء اذا حسنته والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرايع والاحكام ولذلك جاء الكتاب
والحكمة متعاطفين في عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرئ ابن عامر
وبالزبر وبالكتاب وهشام باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات كل نفس ذائقة الموت
وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله
الا قليلا وانما توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا يوم القيمة يوم قيامكم
من القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه السلام القبر روضة من
رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة في الاصل تكرير الزح
وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله
عليه وآله

عليه وآله من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى
الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي
يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ و
الغرور مصدر او جمع غار لتبلون اي والله لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبه من الآفات
وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول صلى الله عليه وآله والطعن
والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال
ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك
يعني الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور التي يجب العزم عليها او مما عزم الله
عليه اي امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الراي على الشيء نحو امضائه واذ اخذ الله اي
اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد به العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية
لمخاطبتهم وقرئ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم
الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق وراء ظهورهم فلم
يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله
نصب عينيه والقاؤه بين عينيه واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها
فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم وعن النبي صلى الله عليه وآله من كتم علما عن اهله الجم
بلجام من النار وعن علي عليه السلام ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم
ان يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم
بمفازة من العذاب الخطاب للرسول ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول
الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما
فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق
والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اي فائزين بالنجاة منه وقرئ ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح

البدل في الأول وضميرها في الثاني على أن الذين فاعل ومفعولا يحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده فكأنه
قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا فلا يحسبن أنفسهم بمفازة والمفعول الأول محذوف وقوله فلا تحسبنهم
تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الأول ولهم عذاب أليم بكفرهم وتدليسهم روي أنه صلى الله عليه
وآله السلام سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فأخبروه بخلاف ما كان فيها وأروه أنهم قد صدقوه
وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بأنهم رأوا المصلحة في
التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فإنهم يفرحون بنفاقهم ويستحمدون إلى المسلمين
بالإيمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ولله ملك السموات والأرض فهو يملك أمرهم والله
على كل شيء قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم إن الله فقير إن في خلق السموات
والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب لدلائل واضحة على وجود الصانع
ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق
في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة في هذه الآية لأن مناط الاستدلال هو التغير
وهذه متعرضة لجملة أنواعه فإنه إما أن يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار أو جزئه كتغير
العناصر بتبدل صورها أو الخارج عنه كتغير الأفلاك بتبدل أوضاعها وعن النبي صلى الله عليه
وآله ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم أي
يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه السلام من أحب
أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلاث حسب
طاقتهم لقوله عليه السلام لعمران بن حصين صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع
فعلى جنب تومئ إيماء وهو حجة للشافعي في أن المريض يصلي مضطجعا على جنبه الأيمن مستقبلا
مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون في خلق السموات والأرض استدلالا واعتبارا
وهو أفضل العبادات كما قال عليه السلام لا عبادة كالتفكر لأنه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق
وعنه عليه السلام بينما رجل مستلق على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى السماء والنجوم
فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله إليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف

شرف علم

١٠٨

شرف علم الأصول وفضل أهله ربنا ما خلقت هذا باطلا على إرادة القول أي يتفكرون قائلين
ذلك وهذا إشارة إلى المتفكر فيه أو الخلق على أنه أريد به المخلوق من السموات والأرض أو إليهما
لأنهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكمة عظيمة من جملتها
أن يكون مبدأ لوجود الإنسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك
لينال الحيوة الأبدية والسعادة السرمدية في جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق
الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للإخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هي
الدلالة على أن علمهم بما لأجله خلقت السموات والأرض حملهم على الاستعاذة ربنا إنك من تدخل
النار فقد أخزيته فقد أخزيته غاية الإخزاء ونظيره قولهم من أدرك مرعى الصمان فقد أدرك
والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه أشعر بأن العذاب
الروحاني أفزع وما للظالمين من أنصار أراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر
للدلالة على أن ظلمهم سبب لإدخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من
نفي النصرة نفي الشفاعة لأن النصرة دفع بقهر ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أوقع
الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في إيقاعه على نفس المسموع
المسموع وفي تنكير المنادي وإطلاقه ثم تقييده تعظيم لشأنه والمراد به الرسول صلى الله وآله وقيل
القرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بإلى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص أن آمنوا
بربكم فآمنا أي بأن آمنوا فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فإنها ذات تبعة وكفر عنا
سيئاتنا صغائرنا فإنها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الأبرار مخصوصين
بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على أنهم يحبون لقاء الله ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه والأبرار
جمع بر أو بار كأرباب وأصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أي وعدتنا على تصديق رسلك
من الثواب لما أظهر امتثاله لما أمر به سأل ما وعد عليه لا خوفا من إخلاف الوعد بل مخافة
أن لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة أو قصور في الامتثال أو تعبدا واستكانة ويجوز أن
يتعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك أو محمولا عليهم وقيل معناه على ألسنة

الرسل

على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيمة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة المؤمن واجابة
الداعي وعن ابن عباس رض الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على
استقلال المطالب وعلو شأنها وفي الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله
مما يخاف فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام اني لا اضيع
لا اضيع عمل عامل منكم اي بانّي لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل
بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال والا
والاتحاد او للاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال جملة
معترضة مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله صلى الله عليه
وآله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الى
آخره تفصيل الاعمال العمال وما اعدّ لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى
فالذين هاجروا الشرك والاوطان والعشائر للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا في
سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرئ حمزة والكسائي
بالعكس لان الواو لا توجب ترتيبا والثاني افضل او لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون
ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونّها ولا
دخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي اثيبهم بذلك اثابة
من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن الثواب على الطاعات قادر عليه
لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد امته او تثبيته
على ما كان عليه كقوله تعالى ولا تطع المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب
تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر
بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون
المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد
فنزلت متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته وفي جنب ما اعد الله
للمومنين

اعد الله تعالى للمومنين قال عليه السلام ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليمّ فلينظر
بم يرجع ثم مأويهم جهنم وبئس المهاد اي ما مهّدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربّهم لهم
جنّات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعدّ للنازل
من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر الضبّي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا و
المرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر موكّد
والتقدير انزلوها نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار
لقلته وسرعة زواله وانّ من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في ابن سلام واصحابه
وقيل نزلت في اربعين من نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى
فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبرئيل الى النبي صلى الله عليه وآله فقال المنافقون
انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين
انّ بالظرف وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى
لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند
ربهم ما خصّ بهم من الاجر ووعدوه في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب
لعلمه بالاعمال وما يستوجبه كل عامل من الجزاء واستغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد ان
الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب يستدعي سرعة الجزاء يا ايها الذين آمنوا
اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا اعداء الله تعالى في الصبر
لذّته ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عليه
السلام من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه عليه السلام من رابط يوما وليلة في سبيل الله تعالى كان
كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون
فاتقوه بالتبرّي عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات
الثلث المترتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات
ومرابطة السرّ على جناب الحق لترصّد الواردات المعبّر عنها بالشريعة والطريقة

والطريقة والحقيقة محمد النبي صلى الله عليه وآله من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها
امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم
الجمعة صلى الله عليه وآله وملائكته حتى تحجب الشمس سورة النساء مدنية وهي مائة
وخمس وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس خطاب يعم
بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي آدم عليه وخلق منها زوجها عطف
على خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منها زوجها امكم حواء من ضلع من اضلاعها او محذوف
تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث
منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج
المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة
يقتضي ان يكن اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع لا على الجماعة وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة
لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الظاهرة التي توجب طاعة
موليها او لان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه
الآيات التي بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وباث واتقوا الله
الذي تساءلون به اي يسأل بعضكم بعضا فيقول اسئلك بالله واصله تتساءلون فادغمت
التاء الثانية في السين وقرئ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها والارحام بالنصب عطفا على
محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او على الله اي اتقوا الارحام فصلوها ولا
تقطعوها وقرئ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ
بالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به وقد
نبه سبحانه وتعالى اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه السلام الرحم
معلقة بالعرش تقول الا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم
رقيبا حافظا مطلعا وآتوا اليتامى اموالهم اي اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو
الذي مات ابوه

الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على انه جرى مجرى الاسماء كفارس
وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع يتيمى كاسرى لانه من باب الآفات
ثم جمع يتيمى على يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار
لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ ووروده في الآية اما للبلغ على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم
بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم
الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا او لغير البلغ والحكم مقيد فكأنه قال وآتوهم اذا بلغوا
ويؤيد الاول ما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب
المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله ونعوذ بالله من الحوب الكبير ولا
ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم والامر الخبيث
وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تاخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا
الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تأكلوها مضمومة الى
اموالكم اي لا تنفقوهما ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره
لقوله تعالى فليأكل بالمعروف انه الضمير للاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا
وحابا كقال قولا وقالا وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء اي ان
خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن اذ كان
الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام
بحقوقهن فان خفتم الا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا الا تعدلوا بين
النساء فانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج من الذنوب
كلها على ما روي انه تعالى لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء
واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان
خفتم الا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة
او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت ايمانكم وقرئ تقسطوا بفتح التاء
على ان لا مزيدة اي ان خفتم ان تجوروا مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة هي

مثنى مثنى وثلثا ثلثا واربعا اربعا وهي غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات
وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة
على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور
متفقين فيه ومختلفين كقولك اقسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة ولو افردت
كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز
الاختلاف في العدد فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد ايضا فواحدة فاختاروا
او فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل فعل محذوف او خبره تقديره فيكفيكم
واحدة او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السراري
السراري لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن ذلك اي التقليل منهن او اختيار الواحدة
الواحدة او التسري ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال
الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا يكثر عيالكم
على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية
ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج
ان اريد الاولاد فلان التسري مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج
كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح
بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد
التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه
عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى موضع اللفظ
ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء او الحال من الواو او الصدقات اي آتوهن صدقاتهن ناحلين
او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من
قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله شرعه

والخطاب للازواج

والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور موليتهم فان طبن لكم عن شيء
منه نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى او يجري مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة قوله كانه في الجلد تو
ليع البهق اراد كان ذلك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد
والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن
لتضمين معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا فخذوه
وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ من غير غصص
اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان
والمريء ما تحمد عاقبته روي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها
فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها
وانما اضاف المال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة
وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله تعالى من المال فيعطي امرأته واولاده ثم ينظر الى ايديهم
وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله
التي جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يؤول بانها التي من جنس
ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرأ نافع وابن عامر قيما بمعناه كعوذ بمعنى
عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم و
كسوتهم بان تتجروا وتحصلوا من نفعها ما تحتاجون اليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة
جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه
وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال
وحسن التصرف بان تكل اليه مقدمات العقد وعند ابي حنيفة بان يدفع اليه ما يتصرف فيه
حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغ حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمسة عشر سنة عندنا
لقوله عليه السلام اذا استكمل المولود خمسة عشر سنة كتب ماله وما عليه واقيمت عليه الحدود
وثمانية عشر عند ابي حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده فان آنستم
آنستم منهم رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم
اموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم الآية ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة

مثنى مثنى وثلث ثلثا واربعا اربعا وهى غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات
وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة
على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور
متفقين فيه ومختلفين كقولك اقسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة ولو افرد
لكان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز
الاختلاف فى العدد فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد ايضا فواحدة فاختاروا
او فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل فعل محذوف او خبره تقديره فيكفيكم
واحدة او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السرارى
لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن ذلك اى التقليل منهن او اختيار الواحدة
او التسرى ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال
الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا يكثر عيالكم
على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية
ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج
وان اريد الاولاد فلان التسرى مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج
الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع واتوا النساء صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح
الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضمها وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد
وهو تثقيل صدقة كظلمة فى ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه
عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى موضع اللفظ
ونصبها على المصدر لانها فى معنى الايتاء او الحال من الواو او الصدقات اى آتوهن صدقاتهن ناحلين
او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من
قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات اى دينا من الله شرعه

والخطاب للازواج

والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم فان طبن لكم عن شيء
منه نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى او يجرى مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة فى قوله كانه فى الجلد توليع البهق
البهق اراد كان ذلك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد
والمعنى فان وهبن لكم من الصداق شيئا عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن
لتضمن معنى التجافى والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا فخذوه
وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ من غير غصص
اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان
والمريء ما يحمد عاقبته روى ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها
فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم نهى للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها
وانما اضاف المال الى الاولياء لانها فى تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة
وقيل نهى لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله تعالى من المال فيعطى امرأته واولاده ثم ينظر الى ايديهم
وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله
التى جعل الله لكم قياما اى تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يؤول بانها التى من جنس
ما جعل الله لكم قياما سمى ما به القيام قياما للمبالغة وقرئ نافع وابن عامر قيما بمعناه كعوذ بمعنى
عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم و
كسوتهم بان تتجروا وتحصلوا من نفعها ما تحتاجون اليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة
تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه
وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم فى صلاح الدين والتهدى الى ضبط المال
وحسن التصرف بان تكل اليه مقدمات العقد وعند ابى حنيفة بان يدفع اليه ما يتصرف فيه
حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغ حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمس عشرة سنة عندنا
لقوله عليه السلام اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ماله وما عليه واقيمت عليه الحدود
وثمانى عشرة عند ابى حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده فان آنستم
آنستم منهم رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم
اموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم الآية ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة

غاية الابتلاء وكأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس
الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يونس منهم الرشد وقال ابو حنيفة اذا زادت على سن
البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه
المال وان لم يونس منه الرشد ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين
او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف من اكلها ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف
بالمعروف بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له
حق في مال الصبي وعنه عليه السلام ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف
غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها يدل على انه نهي
للاولياء ان يأخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا
عليهم بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على ان
القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك خلافا لابي حنيفة
وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا
نصب على انه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيبا او على الا
الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط
حقه روي ان اوس بن صامت الانصاري خلف زوجته ام كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه
سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء
والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه
وآله في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما
لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى نزلت يوصيكم الله فاعطى
ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن الخطاب
واذا حضر القسمة اولو القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فاعطوهم
شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب

للنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون

ثم اختلف

ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا
لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا
خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان
يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او
يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال
عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين
انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا
للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم
وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه
اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاده وتهديد للمخالف
بحال اولاده فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى الذي هو غاية الخشية
بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا
لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف
في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا
ووعدا حسنا او ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة ان
الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم انما يأكلون في بطونهم اي ملء
بطونهم نارا ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن ابي بردة انه عليه السلام قال يبعث الله
قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون
اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا سيدخلون نارا واي
نار وقرئ قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول
من سعرت النار اذا الهبتها يوصيكم الله يأمركم ويعهد اليكم في اولادكم في شأن ميراثهم وهو
اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان
فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان
التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف
للعلم به فان كن نساء اي ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر

او على تأويل المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن
ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه المعنى وان كانت واحدة فلها النصف اي وان كانت المولودة
واحدة وقرئ نافع بالرفع على كان التامة واختلف في البنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة
لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ
الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك
ان يراد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك
ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحرى ان تستحقه مع اخت مثلها وان
البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك ولابويه
ولابوي الميت لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل منهما
السدس والتفصيل بعد الاجمال تأكيدا السدس مما ترك ان كان له للميت ولد ذكرا او انثى
غير ان الاب يأخذ السدس مع الانثى بالفريضة وما بقي من ذوي الفروض ايضا بالعصوبة فان
لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه
لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وكانه قال فلهما ما ترك
اثلاثا وعلى هذا ينبغي ان يكون لها حيث معها احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قال الجمهور
لا ثلث المال كما قاله ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة و
والقرب وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة
يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس انهم يأخذون
السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار
التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات وقال ابن عباس لا يحجب الام من الثلث ولا الاخوات
الخلص اخذا بالظاهر وقرئ حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها من بعد
وصية يوصي بها او دين متعلق بما تقدمه من قسم المواريث كلها اي هذه الانصباء للورثة من بعد
ما كان من وصية او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان في الوجوب مقدمان

مقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهي متأخرة في الحكم لانها
مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور وقرئ ابن
كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم يوصى على البناء للمفعول آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم
اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم
ما وصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة
من الآخر في الجنة سال ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثكم منهم او من اوصى منهم
فعرضكم للثواب بامضاء وصيته او من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او
تنفيذ الوصية فريضة من الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يأمركم ويفرض
عليكم ان الله كان عليما بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك ازواجكم
ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها
او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن
الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها
او دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا في
الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوي الواحدة والعدد
منهن على الربع والثمن وان كان رجل اي الميت يورث اي يورث منه من ورث صفة
رجل كلالة خبر كان او يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا
او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث
ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث ويورث بالتخفيف والتشديد
على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة تحتمل المعاني الثلاثة وعلى الاول خبر او حال
وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى

فالبيت لا ارث لها من كلالة فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كالّة بالاضافة اليها ثم وصف
بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي او امرأة عطف على رجل وله اي
وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت اي من الام ويدل
عليه قراءة ابي وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر في آخر السورة ان للاختين
الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ما قدر ههنا فرض الام فيناسب ان يكون لا
لاولادها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين
بين الذكر والانثى في القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الآية انهم لا يرثون ذلك مع
الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او
دين غير مضار اي غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القربة
والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله تعالى
يوصى على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم وصية من الله مصدر
مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده ان قرئ غير مضار وصية بالاضافة اي
لا يضار وصية من الله تعالى وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصية منه بالاولاد بالاسراف
في الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة
الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرائعه التي هي كالحدود
التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها كالحدود
وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله
عذاب مهين لتوحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرئ نافع وابن عامر ندخله
بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليسا
صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له واللاتي يأتين الفاحشة من
نسائكم اي يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة
قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال
المؤمنين تشهد عليهن فان شهدوا فامسكوهن في البيوت فاحبسوهن في البيوت واجعلوها

سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان
ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد
ان يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله
الزانية والزاني او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن
السفاح واللذان يأتيانها منكم يعني الزانية والزاني وقرئ ابن كثير واللذانّ بتشديد النون
وتمكين مد الالف والباقون بالالف بالتخفيف من غير تمكين فآذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير
والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا بالاغماض والستر ان الله
كان توابا رحيما علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان
عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية والزاني
في الزناة انما التوبة على الله اي ان قبول التوبة كالمحتوم على الله تعالى بمقتضى وعده من تاب عليه
اذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة متلبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه
وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته ثم يتوبون من قريب من زمان
قريب اي قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه السلام ان الله يقبل توبة
عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحيوة قريب لقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب
في قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اي يتوبون في اي جزء من الزمان
القريب الذي هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يزين السوء فاولئك يتوب الله عليهم
وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وكان الله عليما فهو يعلم
باخلاصهم في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات
حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين
من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة
للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة
هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون
المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما
تاكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعده لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتداد التهيئة من العتاد

من الفساد وهو العقوبة وقيل اصله اعتدنا فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها الذين آمنوا لا يحل
لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امرأته وقال انا احق بها ثم
ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي
بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تأخذوهن على سبيل الارث فتتزوجوهن
كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل
بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن عطف على ان
ترثوا ولا لتأكيد النفي اي ولا تمنعوهن من التزويج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة
ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او
يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان يأتين
بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول
له تقديره لا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان يأتين بفاحشة او لا تعضلوهن لعلة الا ان يأتين بفاحشة
وقرأ ابن كثير وابو بكر عن عاصم مبينة بفتح الياء وعاشروهن بالمعروف بالانصاف في الفعل
والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اي فلا تفارقوهن
لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن
نظركم الى ما هو اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان
كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان اردتم استبدال زوج مكان
زوج تطليق امرأة وتزوج اخرى وآتيتم احداهن اي احدى الزوجات جمع الضمير لانه
اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تأخذوا منه شيئا اي من القنطار اتأخذونه بهتانا واثما
مبينا استفهام انكار وتوبيخ اي اتأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك
قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المآثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد
جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة
فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذا
فسر ههنا بالظلم وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر والحال انه

وصل اليها

وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة
والممازجة او ما اوثق الله تعالى عليهم في شأنهن بقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان او
ما اشار اليه عليه السلام بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا
تنكحوا ما نكح آباؤكم ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل
ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثناء
من المعنى اللازم للنهي وكانه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ
للمبالغة في التحريم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى
ولا تنكحوا وقيل الاستثناء منقطع ومعناه ولكن ما قد سلف فانه لا مؤاخذة عليه لا انه مقرر
والتعميم
انه كان فاحشة ومقتا علة للنهي اي ان نكاحهن فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم
ممقوتا عند ذوي المروات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي وساء سبيلا
من يراه ويفعله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات
الاخت ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه
المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في النكاح
وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم تتناول من ولدتها او ولدت
من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلاثة وكذلك الباقيات والعمة كل
انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا
وبعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم
من الرضاعة نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا وامرها على قياس
النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي در عليه اللبن قال عليه السلام يحرم من الرضاع ما
يحرم من النسب واستثناء اخت ابن الرجل وام اخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح
فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم
من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا محرمات النسب ثم الرضاعة لان لها لحمة كلحمة

النسب ثم محرمات

النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المراة
من آخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى المفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما و
اللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا
لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية وان علقتها بالامهات لم يجز ذلك
بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء اللهم الا
اذا جعلتها للاتصال كقوله فاني لست منك ولست مني على معنى ان امهات النساء وبناتهن
متصلات بكم لكن الرسول صلى الله عليه وآله فرق بينهما فقال في رجل تزوج امراة وطلقها قبل
ان يدخل بها انه لا بأس ان يتزوج بنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء
غير انه روي عن علي عليه السلام تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني
صفة للنسائين لان عاملهما مختلف وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى
ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم او بصدده قوي الشبهة بينهما و
بين اولادكم وصارت احقاء بان تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء
وقد روي عن علي عليه السلام جعله شرطا والامهات والربائب يتناولان القريبة والبعيدة
والبعيدة وقوله دخلتم بهن اي دخلتم معهن الستر وهو كناية عن الجماع ويؤثر ما ليس
بزنا كالوطي بشبهة او ملك يمين وعند ابي حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول فان
فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد اشعار دفعا للقياس وحلائل ابنائكم
ابنائكم زوجاتهم سميت حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج الذين من اصلابكم احتراز عن
المتبنين لا عن ابناء الولد وان تجمعوا بين الاختين في موضع الرفع عطفا على المحرمات والظا
والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة
محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان عليه العنة وعلي عليه الصلوة والسلام حرمتها آية
آية واحلتها آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي عليه السلام التحريم وعثمان
وعثمان العنة والنواب التحليل وقول علي عليه الصلوة والسلام اظهر لان آية التحليل مخصوصة
في غير ذلك ولقوله عليه السلام ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام الا ما قد سلف
استثناء عن لازم المعنى او منقطع معناه لكن ما سلف مغفور لقوله ان الله كان غفورا
رحيما والمحصنات من النساء ذوات الازواج احصنهن التزويج او الازواج وقرئ بالكسر

الكسائي في جميع

الجزء الخامس

وقرئ الكسائي في جميع بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم
من اللاتي سبين ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي
سعيد اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي صلى الله عليه
فنزلت الآية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله وذات حليل انكحتها رماحنا حلال
لمن يبني بها لم تطلق وقال ابو حنيفة لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي واطلاق
الآية والحديث حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا
وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله وكتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف
على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله وقرئ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء
للمفعول عطفا على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة
بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المراة وعمتها وخالتها
ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى واحل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان
تبتغوا النساء باموالكم الصرف في مهورهن واثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان
لا يقدر مفعول تبتغوا وكانه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل من ما وراء ذلكم
الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لا بد وان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين
للنفس عن اللوم او العقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فانه الغرض منه فما استمتعتم
استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن
فآتوهن اجورهن مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او
او صفة مصدر محذوف بمعنى ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة
فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت الآية
في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت كما روي انه عليه السلام اباحها ثم اصبح
يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى
يوم القيمة وهي النكاح الموقت بوقت معلوم سمي بها اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع

بالمرأة وتمتيعها بما يعطي وجوزها ابن عباس ثم رجع عنه ان الله كان عليما بالمصالح حكيما فيما
شرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات
المحصنات المؤمنات في موضع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة له اي ومن لم يستطع منكم ان
يعتلي نكاح المحصنات او من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحرائر لقوله فمن ما ملكت
ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات يعني الاماء المؤمنات وظاهر الآية حجة للشافعي في تحريم نكاح
الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة طول
المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطي وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما
كما هو حمل عليه في قوله المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح
الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور
في نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج والله اعلم بايمانكم فاكتفوا
بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر او بتفاضل ما بينكم في الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم
ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف
منه ويؤيده بعضكم من بعض انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم عليه السلم ودينكم
الاسلام فانكحوهن باذن اهلهن يريد اربابهن واعتبر اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان
لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنيفة وآتوهن اجورهن اي ادوا اليهن
اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر اوالي مواليهن
للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك المهر للامة ذهابا الى الظاهر بالمعروف
بغير مطل وضرار ونقصان محصنات عفائف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا
متخذات اخدان اخلاء في السر فاذا احصن بالتزويج قرأ ابو بكر وحمزة والكسائي
اذا احصن بفتح الهمزة والصاد والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد فان اتين بفاحشة زنا
فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحرائر من العذاب من الحد لقوله تعالى وليشهد عذابهما
طائفة من المؤمنين

طائفة من المؤمنين وهي تدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف
ذلك اي نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم
بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد
به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء وان تصبروا خير لكم اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين
خير لكم قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه والله غفور لمن لم يصبر رحيم بان رخص
له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفي عنكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم
ليبين مفعول يريد واللام زيدت لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس بن سعد
اردت لكيما يعلم الناس انه سراويل قيس والوفود شهود وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اي
يريد الخلق لاجله ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طرقهم
ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة
كفارة لسيئاتكم والله عليم بها حكيم في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتأكيد والمبالغة
ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطي لما
سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود لانهم يحلون
الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت ان تميلوا عن الحق ميلا عظيما بموافقتهم على اتباع الشهوات
واستحلال المحرمات عظيما بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها يريد الله ان
يخفف عنكم فلذلك شرع لكم الشرع الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كاحلال
نكاح الامة وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن
عباس رض ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه
الثلاثة وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال
ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم
بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربوا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع
اي ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه او اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اي
اي تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير

لانها اغلب واوفق لذوي المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع عن
صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرئ الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة
واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما تفعله جهلة
الهند او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روي ان عمرو بن العاص تأوله في التيمم لخوف البرد
فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وآله او بارتكاب ما يؤدي الى قتلها او باقتراف ما يذلها ويرد
يرديها فانه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين
كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها
استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رافة بهم ورحمة كما اشار اليه
بقوله ان الله كان بكم رحيما اي امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم ومعناه انه كان بكم
انه كان بكم يا امة محمد صلى الله عليه وآله رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه

ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا في التجاوز
عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها
بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون
من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلي وكان
ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب
التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم
صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا
او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وآله انها سبع الاشراك
الاشراك بالله فقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار
والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى
سبع وقيل اراد بها هنا انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما
دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك

واصغر الصغائر

البخع

شقيق پدر و هم نفس چیز

واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما
بحيث لا يتمالك وكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما
يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى عاتب نبيه في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره
خطيئة فضلا عن ان يؤاخذه عليها وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا
مع كرامة وقرئ نافع بفتح الميم وهو يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم
على بعض من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى
التحاسد والتعادي معربة عن عدم الرضا بما قسم الله تعالى وانه تشهي لحصول الشيء له من غير طلب
وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع
حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن
بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل
بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه السلام ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث
وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم حسب ما عرف من حاله الموجبة
للزيادة والنقص كالمكتسب له واسئلوا الله من فضله اي ولا تتمنوا ما للناس واسئلوا الله من فضله
مثله من خزائنه التي لا تنفد وهو يدل على ان المنهي عنه هو الحسد او لا تتمنوا واسئلوا الله من
فضله بما يقربه ويسوقه اليكم ان الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن
علم وتبيان روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث
ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون اي لكل تركة جعلنا وراثا
يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا وراثا مما تركه على ان
من صلة موالي لانه في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استئناف مفسر
للموالي وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او لكل قوم جعلناهم
موالي حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع اليه محذوف و
وعلى هذا فالجملة من مبتدا وخبر والذين عقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس
السدس من مال حليفه فنسخ بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابي حنيفة لو اسلم

رجل على يدي ونق فدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورثا او الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدا
وخبره فاتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر تفسيره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان
وقوله تعالى فاتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرئ الكوفيون
عقدت بمعنى عهدت ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في
القراءة الاخرى ان الله كان على كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء
يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبي وكسبي فقال بما فضل الله
بعضهم على بعض بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال
والطاعات فلذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في مجامع
القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق
وبما انفقوا من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار
نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله
عليه وآله فشكى فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله
خير فالصالحات قانتات مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب لما يجب
الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال عنه عليه السلام خير النساء
امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها و
تلا الآية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث بالوعد
والوعيد والتوفيق له او بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب
عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ الله فاعل
والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله او طاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتي تخافون
نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن واهجروهن في المضاجع
في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحاف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت
اي لا تبايتوهن واضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شائن والامور الثلاثة مرتبة ينبغي ان
يدرج فيها

١١٩

ان يندرج فيها واجمعوا ما كان ينقص كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا
كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه يتعالى ويتكبر ان يظلم احدا او ينقص
حقه وان خفتم شقاق بينهما خلاف بين المرأة وزوجها اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجري
ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة او
الفاعل كقولهم نهارك صائم فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام
متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والا
والاصلاح من اهله وآخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا
على سبيل الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل
به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان الجمع
والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا
اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح يوفق
اوقع الله تعالى بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح
يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال
الشقاق اوقع الله تعالى بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله
مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين
احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبصاحب القرابة واليتامى والمساكين والجار ذي
القربى الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على
الاختصاص تعظيما لحقه والجار الجنب البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران
ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار
وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب
بالجنب الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل
كتعلم

المراة وابن السبيل المسافر والضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا
متكبر يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويأمرون
ويأمرون الناس بالبخل بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدأ
وخبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل به وقرئ حمزة والكسائي
بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم احق بكل ملامة واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله
ومن كان كافرا لنعمة الله فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة
من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين
كتموا صفة محمد صلى الله عليه وآله والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس عطف على الذين
يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق لا على ما
ما ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح واستجلاب الذم او مبتدأ خبره محذوف
مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه
مراضيه وثوابه وهم مشركوا مكة وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا
تنبيه على ان الشيطان قرينهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين
اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن
بان يقرن بهم الشيطان في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله
الله اي وما الذي عليهم او اي تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على
الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله
يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر
فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان هاهنا واخره في
الآية الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص هاهنا والتعليل ثمة وكان الله بهم عليما وعيد لهم

ان الله لا

ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة
ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظيم جزاؤه
وان تك حسنة وان يك مثقال الذرة وانث الضمير لتانيث الخبر او الاضافة المثقال الى مؤنث وحذف
النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرئ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة
يضاعفها يضاعف ثوابها وقرئ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه
ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما
سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه فكيف اذا جئنا من كل امة فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود
وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل
في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا بك يا محمد صلى الله عليه وآله
على هؤلاء شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع
قواعدهم وقيل هؤلاء الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على
الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الا
الارض بيان لحالهم حينئذ اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة في ذلك
الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء
ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون
ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا
مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر
عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ نافع وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغم
التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف تاء الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها الذين
آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون اي لا تقوموا اليها وانتم سكارى
سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلوتكم روي ان عبد الرحمن بن عوف
صنع مادبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت
صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة
مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلوة وانما المراد النهي

عن الأمر الإفراط في الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على
على أنه جمع كهلكى أو مفرد بمعنى وأنتم قوم سكرى أو سكرى كحبلى على أنها صفة الجماعة ولا جنبا عطف
على قوله وأنتم سكارى إذ الجملة في موضع النصب على الحال والجنب الذي أصابه الجنابة يستوي فيه
المذكر والمؤنث والواحد والجمع لأنه يجري مجرى المصدر إلا عابري سبيل متعلق بقوله ولا
جنبا استثناء من أعم الأحوال أي ولا تقربوا الصلاة جنبا في عامة الأحوال إلا في السفر وذلك إذا
لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم أو صفة لقوله جنبا أي جنبا غير عابري سبيل وفيه
دليل على أن التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلاة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها
وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة لا يجوز له المرور في المسجد إلا
إذا كان فيه الماء أو الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الآية تنبيه
على أن المصلي ينبغي أن يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه وإن كنتم
مرضى مرضا يخاف معه استعمال الماء فإن الواجد له كالفاقد أو مرضا يمنع عن الوصول إليه
أو على سفر لا تجدونه فيه أو جاء أحد منكم من الغائط فأحدث بخروج الخارج من أحد السبيلين
وأصل الغائط المطمئن من الأرض أو لامستم النساء أو ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل
الشافعي على أن اللمس ينقض الوضوء وقيل أو جامعتموهن وقرئ حمزة والكسائي لمستم واستعماله
كناية عن الجماع أقل من الملامسة فلم تجدوا ماء فلم تتمكنوا من استعماله إذ الممنوع عنه
كالمفقود ووجه هذا التقسيم أن المترخص بالتيمم إما محدث أو جنب والحال المقتضية له في غالب الأمر مرض
أو سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر أسبابه ما يحدث بالذات
بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل أحواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا فكأنه
قيل وإن كنتم جنبا مرضى أو على سفر أو محدثين جئتم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء
فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم أي فتعمدوا شيئا من وجه الأرض طاهرا
ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح أجزأه وقال أصحابنا لا بد من أن
يتعلق

يتعلق باليد شيء من التراب لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه أي من بعضه وجعل من
لابتداء الغاية تعسف إذ لا يفهم من نحو ذلك إلا التبعيض واليد اسم العضو إلى المنكب وما روي
أنه عليه السلام تيمم ومسح يديه إلى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على أن المراد ههنا وأيديكم إلى المرافق
إن الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الأمر عليكم ورخص لكم ألم تر إلى الذين أوتوا من رؤية البصر
أي ألم تنظر إليهم أو القلب وعدي بإلى لتضمن معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا
من علم التوراة لأن المراد أحبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها على الهدى أو يستبدلونها
به بعد تمكنهم منه أو حصوله لهم بإنكار نبوة محمد صلى الله عليه وآله وقيل يأخذون الرشى ويحرفون
التوراة ويريدون أن تضلوا أيها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله أعلم منكم بأعدائكم وقد
أخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم وكفى بالله وليا يلي أمركم وكفى بالله نصيرا
يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الإسنادي
بالاتصال الإضافي من الذين هادوا بيان للذين أوتوا نصيبا فإنه يحتملهم وغيرهم وما بينهما
اعتراض أو بيان لأعدائكم أو صلة لنصيرا أي ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم أو خبر
محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه أي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم أي
يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها بإزالته عنها وإثبات غيره فيها أو
يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما أنزل الله تعالى فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع
كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا قولك وعصينا أمرك واسمع غير مسمع أي مدعوا عليك بلا
سمعت لصمم أو موت أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه أو اسمع
كلاما غير مسمع إياك لأن أذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به أو اسمع غير مسمع مكروها
من قولهم أسمعه فلان إذا سبه وإنما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك أو نفهم كلامك
ليا بألسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام إلى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما
يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا أسمعت مكروها أو فتلا بها وضما ما يظهرون
من الدعاء والتوقير إلى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا وطعنا في الدين استهزاء به
وسخرية ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما
قالوه لكان خيرا لهم وأقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم وأعدل وإنما يجب حذف الفعل

يعلق باليد شيء من التراب لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء
الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم العضو الى المنكب وما روي انه عليه السلام تيمم
ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق ان الله كان
عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر اي الم
تنظر اليهم او القلب وعدي بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا
من علم التورية لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها على الهدى او
يستبدلونها به بعد تمكنهم منه بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله
بكفرهم ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا الا ايمانا قليلا لا
يعبأ به وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم والرسل
للمهم يصيبه او الا قليلا منهم آمنوا او سيؤمنون يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا
مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها و
نجعلها على هيئة ادبارها يعني الاقفاء او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الآخرة واصل الطمس ازالة
الاعلام الماثلة وقد يطلق بمعنى الطلس في ازالة الاعلام الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل
قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث جاءت
منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء
او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع و
نردها عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت او نجزيهم بالمسخ كما اجزينا به
اصحاب السبت او نلعنهم على لسانك كما لعنا على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على طريقة
الالتفات او للوجوه ان اريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة
الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على التغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب او كان وقوعه مشروطا
بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة وكان امر الله بايقاع شيء او وعيده او ما حكم به وقضاه مفعولا
نافذا او كائنا فيقع لا محالة او عدتم به ان لم تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه بتّ الحكم
على خلود عذابه

على خلود عذابه لان ذنبه لا ينمحي عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك اي ما
دون الشرك صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا اول المعتزلة الفعلين على معنى
ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا
دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشية
ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج
الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى
اثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين ساير الذنوب
والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق الم تر الى الذين يزكون انفسهم
يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول
الله صلى الله عليه وآله فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار
كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه واثنى عليها بل الله
يزكي من يشاء تنبيه على ان تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي عليه
الانسان من حسن وقبح وقد ذمهم وزكى المرتضى من عباده المؤمنين واصل التزكية
نفي ما يستقبح فعلا او قولا ولا يظلمون بالذم والعقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق فتيلا ادنى
ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة انظر كيف يفترون
على الله الكذب في زعمهم انهم ابناء الله وازكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا او بالافتراء
اثما مبينا لا يخفى كونه ماثما من بين آثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت
بالجبت والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعوهم
اليه محمد صلى الله عليه وآله وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى
مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا انتم اهل الكتاب وانتم
اقرب الى محمد صلى الله عليه وآله منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن
اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله سبحانه وتعالى
وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود

اوغيره ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا
اقوم دينا وارشد طريقا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب
عنه بشفاعة من الملك وجد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم فاذا لا يؤتون الناس
نقيرا اى لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا ما يوازى نقيرا وهو النقرة فى ظهر النواة
وهذا هو الاغراق فى بيان شحهم فانهم يبخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا فقراء اذلاء
متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية فانهم يؤتون الناس
شيئا واذا اذا وقع بعد الواو والفاء ولا تشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرء
فاذا لا يؤتوا على النصب ام يحسدون الناس بل يحسدون الرسول واصحابه او العرب
او الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكانما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم
الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكان بينهما تلازما وتجاذبا على ما آتيهم الله من فضله يعنى النبوة
والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبى الموعود منهم فقد آتينا آل ابراهيم الذين هم
اسلاف محمد صلى الله عليه وآله وابناء عمه الكتاب والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما
فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل ما آتيهم فمنهم من اليهود من آمن به بمحمد صلى الله عليه وآله
وسلم او بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه
فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن فى ذلك توهين امره فكذا لا يوهن كفر هؤلاء امرك
وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها اى ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد
لهم من سعير جهنم ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير
لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة
سورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب
كما قال ليذوقوا العذاب اى ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلدا آخر والعذاب فى الحقيقة
للنفس العاصية المدركة لا لالة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده
حكيما يعاقب على حكمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها

الانهار خالدين

الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام
فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب فيه
ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل
لتاكيده كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى
اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح فى عثمان بن طلحة بن عبد
الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها رسول الله صلى الله عليه وآله و
وقال لو علمت انه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم امنعه فلوى على عليه السلام يده
واخذ منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس
ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فامره الله ان يرده اليه فامر عليا عليه السلام بان
يعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحى بان السدانة فى اولاده ابدا واذا حكمتم
بين الناس ان تحكموا بالعدل اى وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ
عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم
به اى نعم شيئا يعظكم به او نعم الشئ الذى يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة
موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المامور به من اداء الامانات والعدل فى الحكومات ان الله
كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون فى الامانات يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولى الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين فى عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء
السرية امر الناس بطاعتهم بعد ما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على
الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم فان تنازعتم انتم واولو الامر منكم فى شئ من امور الدين وهو يؤيد
الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد فى حكمه بخلاف المرؤس الا ان يقال الخطاب لاولى الامر
على طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه فى زمانه والمراجعة
والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكروا القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب

سدانة الكعبة خدمتها وتولى امرها وفتح بابها واغلاقها

والسنة دون القياس واجيب بان رده الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه
وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة الرسول عليه السلام فانه يدل على ان
الاحكام ثلثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم
تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان يوجب ذلك ذلك اى الرد خير لكم واحسن تأويلا
عاقبة او احسن تاويلا من تأويلكم بلا رد الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك
وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس رض ان منافقا خاصم يهوديا
فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وآله ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما
احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وآله فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر عليه اللعنة
والعذاب فقال اليهودي لعمر عليه اللعنة والعذاب قضى لي رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يرض
بقضائه وخاصم اليك فقال عمر عليه اللعنة والعذاب للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى
اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج وضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض
بقضاء الله ورسوله صلى الله عليه وآله فنزلت وقال جبرئيل عليه السلام ان عمر عليه اللعنة
فهو فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم
بالباطل ويؤثر لاجله سمى بذلك لفرط طغيانه او لتشبهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان
من حيث انه الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا
بعيدا وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا قيل
لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل
اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا وهو مصدر او اسم
للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس والسد محسوس ويصدون موضع
الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق او النقمة من الله تعالى بما قدمت ايديهم
من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك ثم جاؤك حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم
وقيل يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك
الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين

بدمه

طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك
الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب فاعرض عنهم
اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم او عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم
في انفسهم اي في معنى شأن انفسهم او خاليا بهم فان النصح في السر انجع قولا بليغا يبلغ المراد منهم
ويؤثر فيهم امرهم بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى
شفقة الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا
فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله
المقصود به وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه في طاعته وامره المبعوث
اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا
مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل
رسالته ومن كان كذلك كافر مستوجب القتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق او التحاكم الى
الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا الله بالتوبة
والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصب لهم شفيعا وانما عدل عن
الخطاب تفخيما لشأنه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه
ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا
لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة فان فسر وجد ~~فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر~~ بصادف
كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد
القسم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد حتى
يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا
مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا
تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم تعرضوا
بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا او
اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرأ ابو عمرو ويعقوب ان
اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع او التشبيه بواو الجمع

في نحو لانت الفضل وقرئ عاصم وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة
المتصلة بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا اناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا
بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا
كتبنا او لاحد مصدري الفعلين وقرئ ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا
ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم في عاجلهم
عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب
اعمالهم ونصبه على التمييز والآية مما نزلت ايضا في شأن المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها
نزلتا في حاطب بن ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق
اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه السلام اسق يا
يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك واذا لاتيناهم من لدنا اجرا
عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو تثبتوا لاتيناهم لان
اذا جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم
ابواب الغيب قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم ومن يطع الله والرسول
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق
واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين او حال
منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان
ان لا يتأخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة
التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات واخرى
بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها
على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا
مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك
ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين
في مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى
الشيء قريبا وهم الانبياء او لا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون

اما ان يكون

اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله تعالى في ارضه واما
ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن اولئك رفيقا كل واحد
منهم رفيقا روي ان ثوبان مولى رسول الله عليه وآله اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن
حاله فقال ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك
ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان دخلت الجنة
كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت ذلك اشارة الى ما
للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم
الفضل صفته من الله خبره او الفضل خبره ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة وكفى بالله
عليما بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم
تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا
فاخرجوا الى الجهاد ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبت على فلان تثبيته اذا ذكرت متفرق
محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة والآية
وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيفما امكن قبل
الفوات وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول صلى الله عليه وآله المؤمنين منهم
والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطؤ بمعنى ابطأ وهو لازم
او ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن ابي ناسا يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى
للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع
اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل
وهزيمة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم
فضل من الله كفتح وغنيمة ليقولن اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على
معنى من كأن لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم
فافوز فوزا عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما
يريد ان يكون معكم لمجرد المال او حال عن الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه

من الذوقين وضعف المسلمين تقريبا وحسدا كان لم يكن بينكم وبينه يعني محمد صلى الله عليه وآله
مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز ياليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى
وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكان مخففة من المثقلة اسمه
ضمير الشان وهو محذوف وقرئ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء
لتأنيث لفظ المودة والمنادى في ياليتني محذوف اي ياقوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع
فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت
فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ
هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين يشترونها على
ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل
في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم غلب
او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال
فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او
الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين
وما لكم مبتدأ وخبر لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين
والمستضعفين عطف على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم
وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين وهم
المسلمين المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله تعالى يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين
المسلمين من ايدي الكفار اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين
وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين وضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر
الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم
اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل
المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها

واجعل لنا من لدنك

اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله تعالى دعاءهم بان يسر
لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر بفتح مكة على نبيه صلى الله عليه وآله
فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية
مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا اجري على
غير من له كان كالفعل يذكر ويؤنث على ما حسب ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله فيما
يصلون به الى الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء
الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ان كيد
الشيطان كان ضعيفا اي كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله تعالى للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا
تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء اوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي عن
القتال واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم
يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه
واذا للمفاجاة جواب لما وفريق مبتدأ ومنهم صفته ويخشون خبره وكخشية الله من اضافة المصدر
المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل
خشية الله تعالى منه او اشد خشية عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان
افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله تعالى اي كخشية الله
او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده
على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله تعالى او خشية اشد خشية من خشية الله تعالى
وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال
حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله تعالى عنهم قل متاع
الدنيا قليل سريع التقضي والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا واي ولا تنقصون ادنى شيء
من ثوابكم فلا ترغبوا عنه ومن آجالكم المقدرة وقرئ ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون
لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت وقرئ يدرككم بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل
الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدأ واينما متصل بلا تظلمون ولو كنتم في بروج مشيدة
في قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المرأة اذا ظهرت

وقرئ مشيّدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه
وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما يقع
يقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية تقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الآية اى
ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هي الا
بشومك كما قالت اليهود منذ دخل محمد صلى الله عليه وآله المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها
فرد الله عليهم بقوله قل كل من عند الله يبسط ويقبض حسب ارادته فما لهؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من عند الله
او حديثا ما كبهائم لا افهام لهم او حادثا من ظروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا
ان الباسط والقابض هو الله تعالى ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة فمن الله تفضلا
تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك
قال عليه السلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك من سيئة
من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله قل كل من عند
الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام
كما قالت عائشة ما من مسلم يصيبه ولا نصب حتى الشوكة يشاكها حتى انقطاع شسع نعله وصب
الا بذنب وما يعفو الله اكثر والآيتان كما ترى لا حجة فيهما لنا ولا للمعتزلة وارسلناك للناس
رسولا حال قصد بها التاكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اى رسولا للناس جميعا
كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من فيّ زور كلام
كلام وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه
في الحقيقة مبلغ والآمر هو الله روي انه عليه السلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني
اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت
النصارى عيسى عليه السلام فنزلت ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ
عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال عن الكاف ويقولون
اذا امرتهم بامر طاعة اى امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة
على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيّت طائفة منهم غير الذي تقول اى زورت خلاف

ما قلت لها

١٢٧

ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر
بالليل او من بيت الشعر او من البيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرئ حمزة وابو عمرو بيت طائفة بالادغام
لقربهما في المخرج والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائفهم للمجازاة او جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم
فاعرض عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله في الامور كلها سيما في شانهم وكفى بالله
وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القرآن يتاملون في معانيه ويتبصرون
ما فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشيء ولو كان من عند غير الله اى ولو كان من كلام البشر كما زعم
الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا
ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض اخبار المستقبلة للواقع دون بعض
وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره
ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الاحوال في الحكم
والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما يوجب الامن او الخوف اذاعوا به افشوه كان
يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وآله
او اخبرهم الرسول بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت
اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او لتضمن الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه ولو ردوا ذلك الخبر
الى الرسول والى اولي الامر منهم الى رايه وراي كبار اصحابه البصراء بالامور او الامراء لعلمه
لعلمه على اي وجه يذكر الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل
كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود وبالا على المسلمين ولو ردوها الى الرسول
والى اولي الامر منهم حتى يسمعوه منهم وتعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه
من الرسول واولي الامر اى يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء الذي
يخرج من البئر اول ما يحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم
الشيطان بالكفر والضلال الا قليلا الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق
والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والا اتباعا قليلا
على الندور فقاتل في سبيل الله ان تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك الا فعل نفسك لا
لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روي انه عليه السلام

دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج عليه وما معه الا سبعون لم يلو على احد وقرئ
لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اي لا نكلفك الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا نفسك
على القتال عسى الله ان يكف باس الذين كفروا يعني قريشا وقد فعل بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا
والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع
شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله تعالى ومنها
الدعاء للمسلم قال عليه السلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن
له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا
ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها في القدر و
وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء اذا قدر قال وذي ضغن كففت النفس عنه
وكنت على اساءته مقيتا او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه واذا
حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه في السلام ويدل على وجوب الجواب
اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية واما
برد مثله لما روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله السلام عليك فقال وعليك السلام
ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك ورحمة الله وبركاته
وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال
الله وتلا الآية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب
السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا
يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها ومنه او للذي يلي ان
يحيي السلام ببعض التحية وبين ان يحيي بتمامها والتحية في الاصل مصدر حياك الله على الا
الاخبار من الحيوة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل
المراد بالتحية العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعي ان
ان الله على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر او
او الله مبتدأ

او الله مبتدأ والخبر ليجمعنكم الى يوم القيمة اي الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيمة او مفضين
اليه او في يوم القيمة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس
من القبور او للحساب لا ريب فيه في اليوم او الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر ومن
اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه
لانه نقص وهو على الله محال فما لكم في المنافقين فئتين فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فئتين
اي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه
وآله في الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا
بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم احد او في قوم هاجروا
ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او في قوم اظهروا الاسلام وقعدوا
وقعدوا الهجرة وفئتين حال عاملها لكم او عاملها ما لكم كقولك ما لك قائما وفي المنافقين
حال من فئتين اي متفرقين فيهم او من الضمير اي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مس
تفاد من فئتين والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار
واصل الركس رد الشيء مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه من المهتدين
المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا
تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف على تكفرون
ولو نصب على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله
فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله
ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان الظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم
حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اي جانبوهم رأسا ولا تقبلوا
منهم ولاية ونصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم
واقتلوهم الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم
خزاعة وقيل الاسلميون فانه عليه السلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر
الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ما له وقيل بنو
بكر بن زيد مناة او جاؤكم عطف على الصلة اي الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم

استثنى عن المأمور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكف عن قتال
الفريقين او على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم
وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون
او استيناف حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات
وحصرات او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج
جاؤوا رسول الله صلى الله عليه وآله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او
يقاتلوا قومهم اى عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى قلوبهم
وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم
يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم
سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا
قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليامنوا المسلمين
فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر او الى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا
عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم وينبذوا
اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث
تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا
مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم
وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شانه
ان يقتل مؤمنا بغير حق الا خطأ فانه على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اى يقتله في
شيء من الاحوال الا حال الخطأ او لا يقتله لعلة الا للخطأ او على انه صفة مصدر محذوف الا
قتلا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اى لكن ان قتله خطأ فجزاؤه

فجزاؤه ما ذكر والخطأ ما لا يضامه القصد الى الفعل او الشخص او لا يقصد به زهوق الروح
غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف
وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من
الام لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن
قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اى فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق
الكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر بها
عن النسمة كما عبر عنها بالرأس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة
الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول الضحاك بن سفيان الكلابي كتب
الى رسول الله صلى الله عليه وآله يأمرني ان اورث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي
على العاقلة فان لم تكن ففي بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا يتصدقوا عليه بالدية سمي
العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وآله كل معروف صدقة
وهو متعلق بعليه او بمسلمة اى يجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه
او زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل او الاهل او الظرف فان كان من قوم عدو لكم
وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة اى ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او في
تفاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم ولانهم
محاربون وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة
وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية ولعله
فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به
اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه صيام الشهرين توبة نصب على المفعول
له اى شرع ذلك له توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على المصدر اى تاب الله عليكم
توبة او حال بحذف المضاف اى فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله صفتها وكان الله عليما

١٢٦

العاقلة اسم العصبة والاقارب من قبل الاب الذين يعطون دية قتيل الخطأ وهي صفة جماعة عاقلة واصلها اسم فاعلة من العقل وهي من الصفات الغالبة

بحاله حكيما فيما امر في شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه
ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس رض لا تقبل توبة قاتل
المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب
لقوله تع واني لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة
وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله
فامرهم رسول الله صلى الله عليه ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع
ورجع الى مكة مرتدا او المراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين
لا يدوم عذابهم يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا
فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرئ والكسائي فتثبتوا هنا وفي الحجرات ولا
تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرئ نافع وابن عامر وحمزة
السلم بغير الالف الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا لست مؤمنا وانما فعلت
ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا له الامان تبتغون عرض الحيوة الدنيا
تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل
لهم على العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله كذلك كنتم
من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت بها دماءكم واموالكم
من غير ان يعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين
فتبينوا وافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا
فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تاكيد لتعظيم الامر
وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا
في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله صلى الله عليه واله غزت اهل فدك فهربوا
وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما راى الخيل الجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا

الجبل

وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه واله السلام عليكم فقتله
اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله محمد صلى الله
عليه واله فقتله وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة الايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان
خطاه مغتفر لا يستوي القاعدون عن الحرب من المؤمنين في موضع الحال من القاعدين او من
الضمير الذي فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه
وقرئ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين
او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن مكتوم وكيف وانا اعمى
فغشي رسول الله صلى الله عليه واله في مجلسه الوحي فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان
ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر و
المجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من
غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وانفة
عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة جملة
موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض
اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوي
درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة
لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله
المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر والمفعول الثاني لتضمنه
معنى الاعطاء وكانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه و
مغفرة ورحمة كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته
اسواطا واجرا على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما
كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما

ر ر اعطاهم

ما خوّلهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الآخرة وقيل المراد بالدرجة
الاولى ارتفاع منزلتهم عند الله تعالى وبالدرجات منازلهم في الجنة وقيل والقاعدون الاول هم
هم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم
وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه السلام
رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا لما عسى ان يفرط منهم رحيما
بما وعد لهم ان الذين توفاهم الملائكة يحتمل الماضي والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على
المضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستو
فونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت
في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة توبيخا لهم
فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين في الارض اعتذروا مما
وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اي الملائكة
تكذيبا لهم او تبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر كما فعل المهاجرون
المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك مأواهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار
وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار
قد او الخبر قالوا والعائد محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها
وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم في الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل
فيه من اقامة دينه وعن النبي صلى الله عليه وآله من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان
شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد صلى الله عليه
وآله الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في
الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به
الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على
الهجرة فلا محيص لهم وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون حيلة

ولا يهتدون

ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال عنه او عن المستكن
فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق
بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان
ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه
وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا متحولا
من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم وهو
ايضا من الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله
ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان
كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما الوقوع و
الوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله تعالى ثبوت الامر الواجب والآية نزلت في
جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق
بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك فمات
واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة بتنصيف كمالها
ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عليه السلام اتم في السفر
وان عائشة اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وقالت يا رسول الله قصرت واتممت
وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة واوجبه ابو حنيفة لقول عمر عليه اللعنة
صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عائشة اول ما فرضت الصلوة
فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف الآية فان صحا
فالاول مأول بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة الى
تأويل الآية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان
فسمي الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب به انفسهم واقل سفر تقصر فيه

اربعة برد عندنا وستة ابي حنيفة وقرئ تقصر بمعنى تقصر ومن الصلوة صفة محذوف اي شيئاً
من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين
كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً شرطه باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذا لم يعتبر
لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح فيما افتدت به وقد
تظاهرت السنن على جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بلا بغير ان خفتم
بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق
بمفهومه من خص الخوف بحضرة الرسول لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها
ليأتم به الائمة بعد فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم
طائفتين فلتقم احديهما معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم
اي المصلون حزما وقيل الضمير الطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم فاذا سجدوا
يعني المصلون فليكونوا اي غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني النبي صلى الله عليه وآله
ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغايب ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة
بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله عليه السلام
السلام ببطن النخل وان اريد به ان يصلي بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين فكيفية
ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلواتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو
وتأتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلواتهم ويسلم بهم
كما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله بذات الرقاع وقال ابو حنيفة يصلي بالاولى ركعة ثم تذهب
هذه ويقف بازاء العدو وتأتي الاخرى فيصلي معه ركعة ويتم صلوته ثم تعود الى وجه العدو
وتأتي الاولى فيؤدي الركعة الثانية بغير قراءة ويتم صلواتهم ثم تذهب هذه وتأتي الاخرى
فتؤدي الركعة بقراءة ويتم صلوتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن
يتحصن الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظره قوله تعالى والذين

تبوؤا الدار

مع ذلك ان لا تأخذ اسلحتكم الا العظيم عليهم العذاب
الا اللهم الكافرين عذابا مهينا و[illegible]

تبوؤا الدار والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة
واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلوتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ
السلاح ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم
في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب
الاستحباب وخذوا حذركم امرهم للمؤمنين بالنصر على الكفر بعد الامر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا
ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبته وعدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا الامور على مراسم
التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله تعالى واذا قضيتم الصلوة اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياماً
وقعوداً وعلى جنوبكم فداوموا على الذكر في جميع الاحوال واذا اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها
كيف ما امكن قياماً مسايفين ومقارعين وقعوداً مرامين وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطمأننتم
سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلوة فعدلوا واحفظوا اركانها وشرايطها واتوا بها تامة ان الصلوة
كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شيء من الاحوال
وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة فانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب في المعركة و
وتعليل للامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقال ابو حنيفة لا تصلي المحارب حتى يطمئن بطمئن ولا تهنوا
ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال ان تكونوا تألمون فانهم يألمون
كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع على التواني فيه بان ضرر القتال
دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله تعالى بسببه من اظهار الدين و
واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ
ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون ويكون قوله فانهم يألمون علة النهي عن
الوهن لاجله والآية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليماً باعمالكم وضمائركم حكيماً فيما
يامر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس نزلت في طعمة بن ابيرق من
بني ظفر سرق درعاً من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق
فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف

ما اخذها وماله بها فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي
طعمة وشهد له ناس من اليهود فقال بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله فسألوه ان يجادل عن صاحبهم
وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وآله ان يفعل بما
اريك الله بما عرفك واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلثة مفاعيل
ولا تكن للخائنين اي لاجلهم والذب عنهم خصيما للبراء واستغفر الله مما هممت به ان الله كان غفورا
رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها فان وبال خيانتهم
يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه
فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على برائته وخاصموا عنه ان الله لا يحب من كان خوانا
مبالغا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا
بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا
ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو احق بان يستحيى ويخاف منه وهو معهم
لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون
ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البرئ والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله
بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شيء ها انتم هؤلاء مبتدأ وخبر جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا
جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا او صلة عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة
ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم من عذاب الله تع ومن يعمل سوءا قبيحا
يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك و
بالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا لذنوبه
رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ومن يكسب اثما فانما
يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله لقوله وان اسأتم فلها وكان الله عليما حكيما فهو
عالم بفعله حكيم في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما كبيرة او ما كان
عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل بهتانا واثما
مبينا بسبب رمي البرئ وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف

احدهما دون مقترف

احدهما دون مقترف الآخر ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلام ما هموا به بالوحي لهمت طائفة منهم من
بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى نفي تأثيره فيه
وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك من شيء فان الله عصمك وما خطر
ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر
وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور او من امور الدين والاحكام وكان
فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير في كثير من نجواهم من متناجيهم كقوله تعالى واذ هم نجوى او من
تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة او معروف على حذف المضاف اي الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة
ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل ويندرج فيه القرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع
وسائر ما فسر به او اصلاح بين الناس او اصلاح البين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما بنى
الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة
والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضات الله لان الاعمال بالنيات
وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من الله اجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من اغراض
الدنيا ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشقاق فان كلا من المتخالفين في شق الآخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر
له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله ما تولى نجعله واليا
لما تولى من الضلال ونخل بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت
مصيرا جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تع رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين
وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر استوجب الحد وكذا
الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان
ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد الافهام الى مبادي
الاحكام ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتأكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ
الى رسول الله ع وقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من
دونه وليا ولم اوقع المعاصي جرأة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله فنزلت
ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والا
ستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم كان نوع افتراء وهو
دعوى التبني على الله ان يدعون من دونه الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة ونحوها فان لكل حي صنما يعبدونه
ويسمونه انثى بني فلان وذلك اما لتأنيث اسمائها كما قال وما ذكر فان يسمن فانثى شديد الازم ليس له ضروس

فانه عز القراد وهو ما كان صغيرا فاذا كبر سمي حلمة او لانها كانت جمادا والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها
ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون
دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ
انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبيث وخبث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واثنا بها
على قلب الواو لضمها همزة وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم
عليها فكان طاعته في ذلك عبادة له والمريد الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد
وشجرة مرداء التي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف عليه
اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان
الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية
غاية المنافاة فان الاله ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهي افظع الضلال
الضلال لثلثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا
عن الهدى والثاني انه ملعون لضلالته فلا يستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة
والسعي في اهلاكهم وموالاة من هذا شانه غاية الضلالة فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قد
قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحيوة
وان لا بعث ولا عقاب ولامرنهم فليبتكن آذان الانعام يشقونها لتحريم ما احل الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل
بالبحاير والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل الله ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة ولامرنهم فليغيرن خلق
الله عن وجهه صورة وصفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق
ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس
كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهايم للحاجة و
والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثاره ما يدعوه
اليه على ما امره الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع راس ماله وبدل مكانه
من الجنة بمكانه من النار يعدهم ما لا ينجزه ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار
النفع فيما فيه الضر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه اولئك ماويهم جهنم ولا يجدون عنها
محيصا معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل
مصدرا فلا يعمل فيما قبله والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي

ربنا وعمك

قبله ووعد الله مؤكد لغيره ويجوز ان ينصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم
وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية
الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا في تحصيله ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب
اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل
ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب
نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا
ينسخ على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين
وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب
وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك
وقال ومن يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا روي انه لما نزلت قال ابو بكر فمن ينجو مع هذا يا رسول فقال عليه السلام اما
تحزن اما تمرض اما يصيبك اللاواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولم يجد
لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره ويدفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها او شيئا
منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان
ومن الصالحات اي كائنة من ذكر او انثى ومن الابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء
الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء من الثواب
واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب
الثواب ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي
هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن آت بالحسنات تارك السيئات
واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن ساير الاديان دين الاسلام
وهو حال من المتبع والملة وابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة الخليل عند خليله وانما
اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل
فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة
بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استئناف جيء بها للترغيب في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في
الحسن وغاية كمال البشر روي ان ابراهيم بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله
لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكنه يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء